

من الشرق والغرب



جولة سياحية

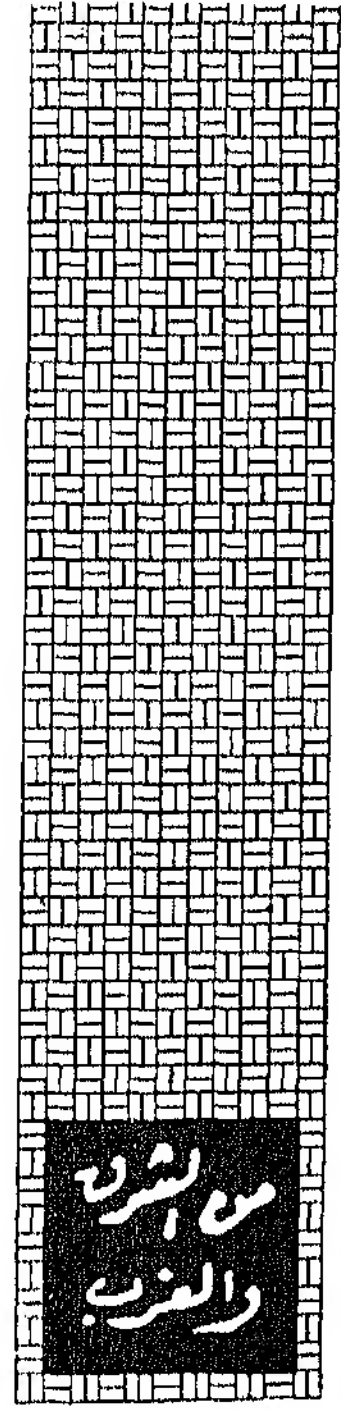
من طوكيو إلى لندن

بمقام
أحمد حمروش



日本 日報 圖





جولة سيليحية من طوكيو إلى لندن

يقام: أحمد عمرو

محتويات الكتاب

صفحة

٥	•	•	•	•	باريس
٣٥	•	•	•	•	المغرب
٥١	•	•	•	•	في بلاد الشمال
٦١	•	•	•	•	الى موسكو
٧٥	•	•	•	•	سويسرا
٨١	•	•	•	•	لندن
٨٩	•	•	•	•	اسبانيا
١٠٩	•	•	•	•	يون
١١٥	•	•	•	•	جولة في الشرق البعيد



بَارِلِیْن

وحيد في باريس

هل يمكن أن تعيش وحيدا في بلد يضم خمسة ملايين ؟

هل تستطيع أن تعيش بلا حديث في بلد تهتز فيه الجدران من الصخب والمرح ؟

.. قصة أيامي في باريس تحكى لك الجواب .. !

في الصباح كنت في مطار موسكو .. صلاح سالم وعبد العزيز فهمي يغادرانها الى القاهرة وأنا الى باريس .. والطائرتان تتحركان في موعد واحد تقريبا .

وودعت صديقي على سلم الطائرة ؛ وتوجهت وحدي الى طائرة أخرى .. وعشت مع أيامي القريبة الماضية ، منذ وصولنا موسكو والحرارة تحت الصفر حتى هذه الساعة التي نغادرها فيها والشمس ساطعة .. وأنا كثيرا ما أحب أن أدخلوا اني نفسي .. أتأمل حياتي .. وأجتر ذكرياتي .. وأعيد النظر في أعمالي .

وتتابعت أيامنا هناك يوما بعد يوم ، وكانت حافلة بالعمل بلا وقت ضائع .. لم نذهب في عشرة أيام

الى المسرح الا ليلة واحدة .. ولم نذهب الى الفراش قبل أن ينتصفه الليل .. ولم يتسرب الينا الضيق أو الملل .. وشعرت أن الزميلين يحملان معهما ذكريات غالية ..

وبدأت رحلتى وحيدا الا من الكتاب .. وانتظرت في مطار كوبنهاجن خمس ساعات .. ثم واصلت الرحلة الى باريس .. وصلتها والساعة تعلن العاشرة وهى تتوهج بالألوان التى تتلألأ فى كل مكان . غادرت الفندق سريعا ، وبدأت جولة على قدمى .. العربات تنطلق فى جنون والناس فى المقاهى يتحدثون ، وفى الشارع قبلة هنا وقبلة هناك .. وبعض الشباب من الأولاد والبنت ينطلق بالغناء فى مرج .

جو جديد بهيج ، ولكن كل خواطرى ومشاعرى حبيسة لا تنطلق .. ليس هناك من صديق !

جلست على المقهى بعد سير ساعة كاملة ، الجالسون يتكلمون ، يتبادلون الأحاديث والمناقشات ترتفع الأصوات أحيانا ، وأحيانا ترتسم البسمات وتنطلق الضحكات .

ليس فى المقهى من يجلس وحيدا الا أنا !

وعدت الى الفندق .. دخلت غرفتى صامتا .. ليس معى الآن صلاح سالم ولا عبدالعزيز فهمى ولن أبادل كلمة مع أحد .. وأتقذى التعب من التفكير ، أغمضت عيني وفتحتهما مع الصباح .

باريس تنفتح عن يوم جديد .. الزهور فى الدكاكين ، والفتيات فى الشارع كالورود ، والمدينة مرحة .. والساعة الآن التاسعة والمحال لم تفتح بعد .. وظننت باريس مثل مدريد تسهر حتى الفجر ، وتتأخر الأعمال فى الصباح .. ولكننى طالعت على صفحات الجرائد أن اليوم عيد .. يحتفلون بهذبة الحرب العالمية الأولى « ١١ نوفمبر » .

وأصبت بخيبة أمل .. ربما كان اليونسكو أيضا في أجازة ، وهكذا
يتعذر مقابلة توفيق الحكيم وأيضا بعثات المسرح التي تدرس هنا لن
أجد أحدا منهم .. وبى شوق اليهم .

وأسرعت الى « مقهى دى لاييه » .. سمعت أن العرب يترددون
عليه .. ربما وجدت أحدا يدلنى على الطريق فى هذا البلد الكبير ..
لم أجد أحدا من أبناء العرب ، ولم أعر على توفيق الحكيم ..
وذهبت الى الكوميدي فرانسيز لأسأل عن أعضاء بعثة المسرح ،
ووجدت أن المسرح أيضا في أجازة هذا الصباح ..

وبدا لى أن اليوم يمتد أمامى بلا نهاية .. كل هؤلاء الناس يعرفون
طريقهم ومكانهم وأصدقاءهم .. أما أنا فليس الا هذا الكتاب الذى
أحمله معى ، وأعيش مع شخصياته وأحداثه ، كلما جلست فى مكان .

وتعرفت على باريس وحدى .. متحف اللوفر ، والانفاليد حيث
دفن نابليون وقوس النصر وشارع الشانزليزيه ، حيث يحتفل الناس
بالأعياد ، والأوبرا والكوميدي فرانسيز ، وبرج ايفل والحي اللاتينى
وحى سان جرمان والبيجال حى اللهو الرخيص أيضا .

كان دليلى خريطة صغيرة ، تحدد خط سير المترو تحت الأرض ،
وما قرأت عن هذه الأماكن فى الصحف وفى كتب التاريخ .

ومضى اليوم بلا حديث ، الا كلمات خاطفة عابرة مع بائع الصحف
وموظف الفندق ، وجرسون المقهى ..

لم أذهب الى أى ملهى .. كنت مجهدا من السير طول النهار ،
أتابع معالم باريس .

بدأ يوم ثالث فى باريس ومعه الأمل فى لقاء أحد .. اليونسكو
يجيب أن توفيق الحكيم فى لجنة .. ذهبت الى هناك أقطع الوقت ،

وفي المبنى الفخم الحديث ، وجدت أنه ليس هناك أحد من أعضاء وفد مصر . . أين ذهبوا ؟ لست أدري . . !

وشعرت وقتها بفائدة السفارات في الدول .. انها واحات يلجأ اليها الانسان كلما ضاق به السبيل . . والناس فيها يثرون للقادم الطريق .

وتذكرت الروح العالية والترحيب الذي لاقيناه في موسكو من سفيرنا هناك السيد محمد عوض القونى ومعه كل رجال السفارة .

مر اليوم الثالث أيضا ، ولا أحد في الكوميدي فرنسيه يعرف طريق أفراد هذه البعثات المسرحية . .

وتحدد موقفي ، سأظل وحيدا اذا لم تتقضى الصدفة حتى أغادر باريس . .

الوقت الذي أمضيته في المسارح كان أسعد أوقاتي . . ربطني بحوادث وشخصيات ، وعشت ساعات منفلا مع الناس بالمواقف الدرامية . .

وبعد المسرح أعود وحيدا ، أرقب مشاهد تتكرر أمامي كل لحظة . . . مشاهد الناس في حياتهم اليومية . .

نابليون امبراطور فرنسا

عندما تقترب من قبره ، يرتد بك التاريخ عشرات السنين تراه فوق حصانه الأبيض ، تنعكس الشمس على أوسمته ونياشينه ، كلمته تحرك ألوف الجنود الى معارك رهيبة . . في البر والبحر . . في القاهرة وموسكو وروما . . عاش حياته بين الانتصارات والهزائم . . توج امبراطورا ومات منفيا شريدا !

وهو اليوم يرقد صامتا في قبر كبير من الخشب اللامع في الأنفاليد باريس ، وحوله أسماء المعارك التي خاضها ، وقبور بعض أقاربه وقادته . .

والأنفاليد يحمل أثر الزمن . . يجمع المتاحف الحربية ، وقبر نابليون في كنيسة كتب عليها « هنا بيت الله . . لا ترفعوا أصواتكم ، ولا تزعجوا الموتى . . » تدخل اليه من باب يحرسه جندي واحد ، وتمضي في بهو كبير فيطالعك تمثال مرتفع لنابليون ، يلبس قبعته ويمتشق سيفه ويده على معدته التي كانت تؤلمه . . وفوقه ساعة ضاعت معالمها ، توقفت عن المضي مع الزمن تعلن دائما الثالثة والثلث الساعة التي مات فيها نابليون !

وفي البهو الواسع عشرات من المدافع صغيرة وكبيرة . . بعضها قائم كأنما يستعد للمعركة ، والبعض ملقى على الأرض كالجثة الهامدة . . منها ما صنعه العرب وعليه هذه الكلمات « بسم الله الرحمن الرحيم . . صنع في عهد السلطان الأعظم . . الخ » ومنها ما صنع في . .

إيطاليا . . انها شهادات الانتصار في المعارك التي حرت بها نابليون تربة
الدول المجاورة ليذر بذور السيطرة الفرنسية .

المدافع الملقاة ، والساعة المعطلة ، وجثمان نابليون ، وسطور في
الكتب ، هي كل ما تخلف عن نابليون بعد تاريخ ارتوت فيه الأرض
بالدماء ، وقاسى البشر فيه ألوانا من العذاب . .

وعد نابليون جنوده بالمجد والشرف . . فكان أن نهبت أموال
الكنائس ، وسرقت المجوهرات ، وضاعت عفة النساء . . وتحولت
الحرب الى اغتصاب مسلح . .

كان أمام نابليون في معاركه الأولى خطاب من الجمعية الأهلية
يقول : « تثق الحكومة أن المواطن الجنرال يدرك أن المجد الفنى يجب
أن يرتبط وثيقا بالمجد الحربى الذى تدركه الجيوش التى يتولى
قيادتها . . ان ايطاليا مدينة ولا شك للفنون بثروتها وشهرتها ولكن
قد حان الوقت لينتقل هذا المجد الفنى الى فرنسا لتقوية روح الحرية
ومظهرها . . ولذا يجب أن يضاف الى ما فى الانتصارات العسكرية
من روعة وبهاء ما يمكن الحصول عليه خلالها من كسب فنى » !

حارب نابليون لتسرق فرنسا ايطاليا ، وتسرق غيرها من الدول . .
وتحول الجنرال الى لص مسلح ، يفتح الخزائن بسيفه ، ويجرد الدول
من أموالها بمدفعه ، وتحولت جحافلها الى عصابات تحيل الأخضر الى
يابس ، وتسدل فوق البلاد الظلام . .

وتذكرت وأنا أتجول حول قبره كلماته التى قالها قبل موته وحيدا
فى منفاه بجزيرة سانت هيلانه : « الحرب شئ ردىء قدر . . انها الشر
مجسما » . . !

صحوة نابليون ويقظته جاءت متأخرة . . !

ونحن اليوم بعد تاريخ طويل من المعارك والحروب ، ندخل مرحلة جديدة من مراحل الحياة . . هي مرحلة نزع السلاح والسلام بين الشعوب . .

قد يكون هناك بعض المتشائمين ، الذين لا يتصورون العالم بلا حروب ، والانسان في سلام لا يعرف العدوان ، ولكن التاريخ يمضى بنا في هذا الطريق . . طريق النور والعلم والسلام .

وأعتقد أن الذين يبلغون الأربعين سيتمد بهم الأجل ليشهدوا في المتاحف كل هذه الأسلحة كما شاهدت في الأتقاليد مدافع نابليون ، عاطلة ، صامتة ، تحمل أثر الزمن ، ولا تنطلق .

سيشهد أبناء هذا الجيل القنابل الذرية خلف واجهات من زجاج .

والصواريخ كتماثيل في الميادين ، وسيشهدون أيضا مولد تاريخ جديد لا يعرف الحروب . . وفيه تتحرك كل الشعوب .

ويومها سوف نسمع من يقول : السلم كسبناه . . » والسلاح ألقيناه » . . !

حياة بلا حب . . !

رأيتها في القاهرة والاسكندرية . . ورأيتها في برلين وهامبورج
وجنيف وروما ومعظم بلاد أوروبا . . وأخيرا رأيتها في باريس .

أراها منذ زمن بعيد ، الأيام تمر وهي في مكانها لا تتغير . . أنا
لا أعرفها بالاسم ولكنني أعرفها بالشكل . . لا أدري لماذا ينضح
قلبي بالمرارة ، ويغلف الأسى نفسي كلما شاهدتها ، ولا أدري أيضا
لماذا تموت الرغبة في جسسي وأنا أرقبها رغم ما تحيط به نفسها من
اغراء من الزينة والملبس ، وأنا لا أكرهها ولكنني أرثي لها . . !

كانت في باريس تقف في أحد شوارع حي بيجال . حيث الأضواء
تلمع وتكاد تخطف البصر . . والملاهي ونوادي الليل لا يفصل بينها الا
المقاهي والبارات والمطاعم . . الناس يتدفقون والحي لا يعرف هدوء
الليل ولا السكون . .

ومع هذا كانت تقف وحيدة في هذا الضجيج ، تستند الى فانوس
النور أو محطة الأوتوبيس . . تروح في الشوارع الفرعية وتجيء ،
تبتسم لكل عابر ، وتنفث دخان سيجارتها في تكاسل ، وأحيانا تكشف
عن جسمها عندما تلمح الرغبة في عين أحد العابرين ، تكاد تدعو الجميع
بالقول والاشارة . . وهي هنا وهناك تساوم الجميع من أجل الثمن .

رأيتها هذه الليلة . . لم تكن في شوارع حي بيجال . . ولم تكن
مثل زميلاتها تقف في الطريق كانت تجلس في أحد مقاهي شارع
الشانزليزيه . جميلة ورشيقة وفي عينيها حيرة .. كانت تجلس على

المائدة المجاورة لى ، وكنت منشغلا بقراءة احدى الجرائد اللبنانية التى
تصل باريس وجرائدنا لا تصل هناك !

اقتربت منى تسألنى أن أشعل سيجارتها ، وعند ما قلت لها أنى
لا أدخن ، أخرجت ولاعتها وأشعلت السيجارة ، وواصلت الحديث
وهى تضع ساقا على ساق وتكشف عن ملابسها الداخلية :

سألتنى عن الطريقة التى نكتب بها اللغة العربية التى رأتها فى
الجريدة وعند ما أجبتها فى بساطة أنها تكتب من اليمين الى اليسار ..
سألتنى دون أن تضيع وقتا ، هل أنت خال الليلة وتحب أن تمارس
عسلية الحب . . !

وفاجأنى السؤال ، فتعثرت فى الجواب ، ولكنها استمرت تشرح
عرضها بألفاظ ثابتة . . انها يمكن أن تذهب معى الى الفندق ، اذا دفعت
لها الثمن ، وازدادت دهشتى من سرعة العرض ، ومن الكلمات التى
تخلو من رنين العاطفة . . وصدمت للعلاقة بين المرأة والرجل تتحول
الى علاقة ميكانيكية تجارية .

واعتذرت لها بأنى لا أفكر فى هذه التجربة . . ولكنها واصلت
الحديث وكأنها لم تسمع ، تعرض فى مهارة أن تخفض الثمن تبعا
لظروفى الخاصة .

. وهى تنسج من كلماتها وبسمتها وحركاتها المثيرة نسيجا من
الاغراء يشل مقاومة الرجل ويدفع به الى القبول .

وقلت لها انى لا أستطيع أن أقيم علاقة مع امرأة الا اذا كان الحب
هو الصلة التى تربط بيننا . . ولوت الفتاة شفتها السفلى وهى تسحر
من كلبة الحب وتقول انها لا تؤمن به فلم يعد له مكان فى حياتنا
السريعة المتعجلة . .

ومضيت أوجد لها أن الحب هو العاطفة التي تشعرني بانسانيتي ،
وهي التي تجعلني أذوب مع المرأة التي أحبها في كيان واحد . أتحمّل
من أجلها الألم والتضحية . . وأسعد بين ذراعيها برحيق الحياة .

ورمت الفتاة آخر سهامها عند ما قالت انها يمكن أن تعطيني وقتاً
سعيداً رائعاً يغنيني عن هذه العواطف المجهولة .. ثم تساءلت : والحب
في نهايته لقاء بين جسدين . . أليس كذلك . . ؟

وقلت لها : نعم . . ولكنه مع الحب يكون شيئاً مثل الثمرة
الناضجة . . وهو بغير الحب يسقط مثل الورقة الذابلة . .

وقالت الفتاة بعد أن لمست اليأس من النتيجة « أنت حر . . ! »
واستدارت تبحث في المقهى عن رجل يجلس وحيداً . . ونظرت الى
عينها التي بدأت تدور . فوجدت في أعماقها مع الحيرة نظرة استجداء .

ورثيت للفتاة الحلوة الرشيقة انها كان يمكن أن تعيش حياة
تحترم فيها انسانيته . . الحب يرسل في قلبها الشرارة المضيفة التي
تبدد ظلام الحياة . . ولكنها أجبرت أو اختارت أن تعرض جسمها
للبيع كل ليلة لأكثر من شخص ، وهي تكظم في نفسها كل ما ينفرها
من الرجل طالما هو يدفع الثمن ، العواطف عندها تتحول الى أرقام ..
وجسمها مع الأيام لا يهتز لانسان .

مجتمعنا يمعن في قسوته عند ما يطحن المرأة ويدفعها الى هذا
الطريق المظلم الذي ينبت فيه الشوك وتذبل فيه العواطف ، ويتمرغ
كل شيء في الوحل والعفن .

حضارة الدول اليوم يمكن أن تقاس باحترام المرأة لكرامتها
وشخصيتها . وعدم التجأها الى بيع الجسد . . وعند ما تنطهر المدينة
من النساء اللواتي ينتظرن في الشوارع أو يتناثرن في نوادي الليل

والحانات فانه يمكن لكل منصف أن يحكم بأن هذه المدينة قد تفوقت في العمل وفي الأخلاق .

باريس الرائعة ، مدينة الفن والثقافة تشبه الفتاة الرشيقة ذات الوجه الجميل ، ولكن هؤلاء الفتيات يتناثرن على هذا الوجه كالبنور .
بائسات هؤلاء الحائرات يعشن حياة لا تعرف الحب .

الغلاء في باريس

مضى على أسبوع وأنا أطيّر بأجنحة الشوق الى القاهرة . . الغلاء في باريس يفترسني في كل وجبة وفي كل نزهة . .

الوجبة المتواضعة لا تكلفك أقل من ١٠٠٠ فرنك «الجنيه المصرى في السوق الحرة يساوى ٩٢٥ فرنكا» وفنجان القهوة على الواقف تدفع فيه ١٥ قرشا . وزجاجة الكوكاكولا ١٢ قرشا !

المسارح أيضا أسعارها مرتفعة . . تبدأ من نصف جنيه ، وتصل الى عدة جنيهات ، تذكرة السينما ٦٠ قرشا ، دخول القولى برجير يكلفك ٥٠ قرشا اذا وجدت محلا للوقوف وتدفع مبلغا يصل الى خمسة جنيهات اذا أردت الجلوس ! وفي الليدو تذكرة ثمنها سبعة جنيهات . .

عداد التاكسى يبدأ في العد بعد ١٦٠ فرنكا « ١٦ قرشا » وتوجد أجور اضافية تضيفها للأجرة اذا كنت تحمل معك حقائب . أو ركبت بعد ساعة معينة من الليل . . !

واجهات المحلات تغريك بما فيها من بضائع لها ذوق رفيع ، ولكنها أيضا تمنعك من الدخول بما تحمله من أسعار فاحشة . . حتى ما اشتهرت به باريس من روائح وكرافات .

أحققر الفنادق لاتقل أجرة المبيت فيه عن جنيه ونصف جنيه فى الليلة والمتوسط ترتفع فيه الأجرة الى أربعة جنيهات ، أما الفنادق الفاخرة فتصل فيها الأجرة الى عشرات الجنيهات . . وأنت تدفع فوق ذلك ١٥ ٪ خدمة ، ٩ ٪ ضرائب . . !

باريس أصبحت أغلى بلاد أوربا لا يتحملها الا الأمريكان وعدد من الأمراء الشرقيين . . أما سكان باريس الأصليون فانهم يجأرون بالشكاوى . . الموظفون والعمال يطالبون بأجور اضافية . . والنساء أصبحن يتجهن الى العمل والبعض منهن يخطىء الطريق ويتاجر فى الجسد . . وأهل باريس يغادرونها فى الربيع والصيف عند ما يكثر السياح وتصبح الأسعار فى المدينة أمرا لا يحتمل .

انى أتجه الى القاهرة . . وأتذكر أسعارنا الرخيصة فى السكن والطعام والمسرح والسينما ، وأحمد الله أنى فى الطريق الى القاهرة ..

مدينة الليل . . لا تسهر الليل ! . .

وعندما انتقلت من موسكو الى باريس ، شعرت أنى أتقل من مدينة يبنى فيها العمل أساس المجتمع الى مدينة يضىء فيها اللهو ظلام الليل .

باريس مدينة ساحرة فاتنة ، ينطلق فيها الغريب ، لا يشعر بالملل ..
يخلق فيها الفنان يضيف الى حياته فى كل لحظة شيئاً جديداً .

هى مدينة الحياة والحب واللهو .. وواجهتها ليست ملاهى البيجال ومونسارتر . . ولا بائعات الجسد فى كل مكان ، ولكنها تحوى فى أعماقها كنوزاً من الثقافة والتاريخ .

وفى باريس متعة لكل انسان . .

مع الناس فى باريس

✳ ولعل أسخف من تلتقى به فى باريس هو سائق التاكسى ، انه يلتقط من لهجتك أنك أجنبى . . وهنا يدور بك فى المدينة قبل أن يصل بك الى وجهتك . .

✳ فى الليلة الأولى ركبت تاكسى وسجل العداد ٣٣٠ فرنكا « حوالى ٣٢ قرشاً » ولكن السائق طالبنى بمبلغ ٥٢٠ فرنكا . وسألته عن السبب فقال : « ٥٠ فرنكا لأننا فى الليل ، ١٥٠ فرنكا لأنك تحمل ٣ حقائب » .

ودفعت بلا مناقشة ، وقبل أن أنصرف طلب منى في برود أن أدفع
له البقشيش . . .

* وفي باريس أعد لنا مدير البعثات في فرنسا برنامجا لزيارة
المسارح وذهبنا الى الكوميدي فرانسيز في ليلة قدمت فيها مسرحيتان
للكاتب «ساشاجيتري» هما : مسرحية عن الصين ، وأخرى اسمها
الغيرة . .

المجتمع الفرنسى يحتفظ رجاله بملابس السهرة والنساء بالسواريه
وبأحدث الطرق لتصفيف الشعر . .

كانت صالة المسرح . . وكأنها معرض للأناقة والرشاقة . .

الجديد في الحفلة .. انه بعد المسرحية التى كتبت عن الصين ، ارتفع
الستار من جديد ، وظهر مكتب صغير ، وقدم مدير الكوميدي فرانسيز
كاتبا فرنسيا نسيت اسمه ، جلس على المكتب وأخذ يحاضرنا عن
ساشاجيتري مدة ربع ساعة .

وهذا تقليد جذا لو أخذنا به في المسارح العربية لتعريف الجماهير
بمشاهير الكتاب والفنانين .

* وفي المسرح القومى الشعبى ولفظ الشعب أطلق عليه لرخص
أسعاره - رغم أنه من أرقى مسارح فرنسا . . مديره جاك فيلاز ،
وكان جيرار فيليب الذى توفي أخيرا أحد الممثلين فيه .

في هذا المسرح الذى يتسع لثلاثة آلاف وثلثمائة متفرج ، لاحظت
أن الذين يتأخرون عن رفع الستار لا يدخلون الى الصالة ، ولكنهم
يبقون في ردهة المسرح .

وهم لا يضيعون وقتهم عبثا ، أعدت لهم ادارة المسرح أربعة أجهزة
تلفزيون تنقل اليهم ما يدور على خشبة المسرح ، حتى يستطيعوا أن
يتابعوا المسرحية من أولها .

وفي غرفة الاستراحة للممثلين ، يوجد تلفزيون آخر ، يعرف عن
طريقه كل مثل موعد ظهوره على المسرح . فيتجه الى الكواليس بدلا
من ضياع وقت مدير المسرح في البحث عنه ، أو بقاءه في قلق الانتظار .

✽ وأنت في الفولى برجير نادرا ما تلتقى بفرنسيين . . معظم
المشاهدين من الأجانب واللغة الانجليزية سائدة لكثرة السياح من
أبناء أمريكا . .

الفولى برجير يقدم استعراضات فخمة . . ولكنه لا يقدم غناء الا
في الاضائة والديكور . . أما الرقصات فمعظمها اهتزازات وأجسام
عارية ومحاولات للاغراء .

ومع هذا فلا شك أنه من معالم باريس . . لأنه عنوان لحياة الليل
هناك . .

✽ ولا تظن أن أهل باريس يسهرون كل ليلة حتى خيوط الفجر .

الحقيقة تختلف عن ذلك كثيرا . . سكان باريس ينامون قبل أن
ينتصف الليل . . والمترو يتوقف قبل الساعة الواحدة . . والهدوء يخيم
على الأحياء في باريس بعد أن تغلق المحلات أبوابها في السابعة والنصف
عدا أحياء اللهو والمسارح . . ومن أجمل التقاليد التي أحبتها في
باريس أن الساعة العاشرة تعتبر عندهم موعدا عاما يستحق الاحترام .

كل انسان يجب أن يخفض صوته . . انه الموعد الذي يستعد فيه
الانسان للنوم بعيدا عن كل ضجيج .

وفي كل الليالى التى أمضيتها هناك . . لاحظت اهتماما شديدا
بتطبيق هذا التقليد الرائع الذى يحترم الجار . .

✳ وكدت أبكى فى باريس عند ما شاهدت أما تلبس السواد ..
وتقف الى جوار لوحة رخامية علقت على جدار أحد المنازل ، ووضعت
باقة من الزهور فى حلقة نحاسية أعدت لذلك .

انتظرت حتى مضت الأم فى سبيلها . . واقتربت من اللوحة أقرأ
ما كتب عليها . .

وقرات هذه الكلمات : « هنا قتل . . من أجل فرنسا » .

وعلمت أنه أحد شهداء المقاومة الشعبية ضد قوات النازى .
صرعته رصاصات هتلر فى هذا المكان .

أحدث صبيحة تجتاح باريس في هذه الأيام قاوموا الحب !!

الربيع في باريس .. كل شيء يتفتح .. الحب والشباب والزهور ..
الضحكات تنطلق .. والمرح يضيء المدينة .. والحياة تتبدد كأوراق
الشجر .

باريس في أروع حالاتها هذه الأيام .. خلع الناس المعاطف ، وخرجوا
الى الشوارع ، فالمنازل هنا لا تغرى بالاقامة .. تحتفظ دائما بالطابع
القديم .. هي الشيء الوحيد الذي لا يندفع الى الأمام .. الفكر والفن
والثقافة تخلق مدارس جديدة .. ولكنك لن تجد منزلا حديث البناء
متنافرا مع الطراز القديم ، ولن تجد ناطحة سحاب تعلو في غير انسجام .

وهذه الأيام في باريس عطلة عيد .. الجامعات والمدارس مغلقة
الأبواب .. والناس من مختلف الدول أقبلوا عليها .. رحلات لمدارس
بريطانية مع مدرسين يلبسون القبعة ويحملون المظلة ويدخنون الببية ..
شباب متحرر من ألمانيا ينهل من عذوبة الحياة .. جماعات من بلاد الشمال
تتميز بالأناقة والقوام الفارع والشعر الأشقر .. وسياح من أمريكا
معظمهم من العجائز يحملون الكاميرا ويدفعون بالدولار .

إذا جلست على مقهى من مقاهى الشانزليزيه ، انتقل العالم اليك ..
بالمدينة في هذه الأيام لا تنام .. تصل الليل بالنهار .

اليزابيث ... وخروشوف

والأسابيع الماضية تميزت بنشاط الحياة السياسية .. رحلة « خروشوف » الى باريس ما زالت محل تعليقات ومناقشات .

وباريس تضحك على نكتة أطلقها « خروشوف » عند زيارته لاحدى المدن .. ورفض نائب هذه المدينة الحضور لاستقباله ..

روى خروشوف أسطورة عن ثلاثة أصدقاء : كلب .. وبقرة .. وحمار .. كانوا يريدون دخول احدى القرى .. أرسلوا الكلب اليها فعاد مسرعا يقول : انهم أرادوا أن يجعلوا منه حارسا تقيده السلاسل .. وذهبت البقرة فعادت والذعر في عينيها تقول : انهم أرادوا أن يذبحوها ويأكلوا لحمها .. وذهب الحمار وعاد يجرى ويرفص فى الهواء .. واستقبله الكلب والبقرة قائلين :

— ماذا جرى لك ؟

وقال الحمار :

— تصوروا أنهم أرادوا أن يجعلوا منى أسوأ ما يمكن أن يكون .. أرادوا أن يجعلوا منى نائبا على البلد وغرق الحاضرون فى الضحك .. وتناقل الجميع فى فرنسا نكتة خروشوف .. ولم يجسر النائب بعدها على الظهور .

وديجول استقبل فى لندن استقبالا حافلا .. ورغم أن دييجول يلاقى معارضة عنيفة من أكثر من جبهة .. الا ان السياسة فى فرنسا تختفى وتذوب أمام مباحج العين واقبال الربيع .

مهرجان عجيب

أعجب مهرجان أقيم احتفالاً بالعيد والربيع .. هو احتفال مدرسة
الفنون الجميلة .

أعد الطلبة ثمانى عربات .. أقاموا عليها تماثيل جنسية فاحشة ..
وزينوا جدران مدرستهم بصور ومناظر أكثر فحشا وانحلالا .

وخرجوا الى الشوارع .. البسوليس يحرس موكبهم .. والناس
تتجمع في الحي اللاتيني وتطلع الى هذا الموكب الغريب بين الفضول
والاشمئزاز .

سألت أحدهم : لماذا اخترتم هذا الشذوذ ! وكان الجواب في بساطة
.. لأنه سر الحياة ...

وفي أحد الميادين وقفت لجنة تحكيم .. أحرقوا كل العربات الفاشلة
وبقيت العربة الفائزة .

وعاد الطلبة الى مدرستهم .. وامتدت سهرتهم الى الصباح ، في هذا
الجو الذى تنطلق فيه العرائز بلا قيود .. ويعبر الناس عن عواطفهم
وانفعالاتهم بشتى الصور .

هى أزمة العصر تصل قممها هنا فى باريس .. شباب حائر لا يعرف
الطريق .. جيل يعاني من المجهول .. ولد فى أعقاب حرب دمرت كل
القيم .. تركت النساء عرايا بلا طعام ولا رجال ..
وكانت الوجودية التى عاشت لفترة تعبر عن كل شاذ .. حتى اختفت
فى هذه الأيام .. وأغلقت معظم كهوفها .. ولم تبق الا فى الذكريات .

قاوموا الحب

ومع هذا تنبت فى فرنسا ألوان شاذة من الأفكار تجذب اليها الشباب
الذى لم تستقر بعد عواطفه ولا أفكاره .

أحدث صيحة في باريس .. هي « مقاومة الحب » ..!

* الحب يدمر كل شيء .. علينا أن ندمره

* الحب يلقي بنا في العذاب

* حياة العصر لا تتسع للعواطف الشاردة

* لا داعي للارتباط بواحدة .. كل النساء سواء

* لقاء الجسد في لحظات أفضل من أوهام الحب .

وكل صيحة تنبعث في باريس تجد لها ألفا من المستجيبين .. وتجد لها صفحات في الصحف ، وتطن من أجلها المسرحيات ، وأفلام السينما .

آخر فيلم يعرض الآن يعبر عن هذا التيار هو فيلم «مقطوع النفس» الذي أخرجه الناقد السينمائي « جان ليك جودار » وهو أول فيلم طويل من اخراجه .

قصة الفيلم تدور حول شاب ارتكب عدة حوادث في مرسيليا ، ثم حضر الى باريس مع عربة مسروقة وتعرف الى فتاة من بائعات الصحف في الليل في الشانزليزيه وهي طالبة أمريكية .

الفتاة تؤمن بمبدأ « الحب للحظة فقط » .. وأمضيا معا أياما جميلة، ثم شعرت أن عواطفها بدأت تتحرك نحوه ، وأنها تسيل الى الارتباط به ماذا تفعل لتحقيق مبدأها وتتغلب على عواطفها ؟ .. أبلغت عنه البوليس الذي قتله أثناء اعتقاله وتلفتت الفتاة حولها .. وجدت بذرة الحب مازالت في قلب خصب .. وانهى الفيلم وهي في أزمتها العنيفة .

هل انتصرت على الحب ؟

هل هزمها الحب ؟

السؤال ما زال حائرا بلا جواب .. وعلى كل متفرج أن يجيب عنه بما يحمله في رأسه من أفكار . ولكن الفتاة تقول في الفيلم « أنا لا أعرف هل أنا حرة لأنى لست سعيدة أم أنا لست سعيدة لأنى حرة !! »

فرانسوا زساجان

و « فرانسواز » التى تكتب فى صراحة عن حياة هذا الجيل الحائر .. والتى قدمنا كتابها : « هل تحبين براهيمز » فى عدد مارس من كتب للجميع .. اتجهت الى المسرح فى انتاجها الجديد .. قدمت مسرحية باسم « قصر فى السويد » .

لم تتح لى اقامتى القصيرة فى باريس فرصة مشاهدتها .. ولكنى سمعت من الآراء ، وقرأت من النقد ما يدل على أنها يجب أن تعود الى كتابة الرواية من جديد .. فالمسرح ليس موهبة فقط ولكنه فن ، وعلم ، وقواعد ، وأصول .

و « فرانسواز » ما زالت فى حياة هذا العصر ، تعبر عن جيلها الذى تشتتت عواطفه وتمزق نسيج حياته .

وهى تجد مقاومة فكرية شديدة من الكتاب الجادين الذين يرون فى الحياة جوانب أكثر اشراقا وازدهارا من الجنس الذى يتسلط عندها على كل شىء .

وماذا يفعل الشباب .. والصفحات الأولى فى بعض جرائد باريس لا تهتم الا بفضائح الجنس .

« فرانس سوار » نشرت اليوم فى صفحتها الأولى صورة تكاد تكون غارية لراقصة أسمتها ملكة « الاستربتيز » فى النولى برجير ..

و « الاستربتيز » هو هذا اللون من الرقص الذى تخلع فيه الراقصة ملابسها قطعة بعد أخرى حتى تظهر فى صورة حواء .

نشرت الجريدة الواسعة الانتشار قصة حب لزوجها مع سيدة أخرى ، نشرت صورتها هى الأخرى عارية .

و « بريجيت باردو » أيضا تثير موجة اهتمام شديد .. آخر ما تتحدث عنه باريس هو علاقتها بزوجها انه يعلق عليها الباب عندما يغادر الشقة .. وبينهما خلاف حاد .

وتوقعوا قريبا طلاق « بريجيت باردو » .. التى ما زالت تسريحة شعرها وقوامها وملابسها ومشيتها هى مثال لألوف الفتيات الفرنسيات وكلهن يكاد يصيح « كلنا بريجيت باردو »

تغير واضح لمستى فى باريس عن أيام ما كنت فيها فى أوائل ديسمبر الماضى .

تقاليع

وفى باريس ظهرت أكثر من تقليعة جديدة .

ماكينة تقف عليها فتشير تحت قدميك اهتزازات كهربائية تدلك الأعصاب المرهقة من المشى .. حتى تستطيع مواصلة السير ومشاهدة الفاترينات التى تخرج منها المودات الى كل أنحاء العالم . مثل ماكينات معرض بروكسل الدولى .

ماكينة أخرى تمنحك فرصة استنشاق الهواء النقى نظير خمسين فرنكا من القديم أو نصف فرنك من الجديد الذى يسمى « الفرنك

الثقيل » ... والغريب أن هذه الماكينات في محلات شارع الشانزليزيه
الذى ينطلق فيه الهواء والنسيم عذبا صافيا .

ماكينة « تيكو » مثل التى تتلقى عليها الأخبار الخارجية من وكالات
الأنباء .. منتشرة فى عدد من المقاهى .. لا تصل عن طريقها أخبار العالم
الخارجى ، ولكن أخبار سباق الخيل !

وفى كل مقهى متددى صغير للقمار يجذب كثيرا من الرواد .

فنان جديد اسمه سافينياك .. كل اعلان يرسمه ويعلق على الجدران
يجلب الشهرة لبضاعته آخر اعلان له عن أقلام الحبر الجاف .. اسمها
الحبر النفث .. وتضاعف توزيع الأقلام بعد اعلان الفنان .

السيدات يلبسن جوارب تمنح البشرة اللون الذى تكسبه لها
الشمس .. تسريحة فرح ديبا كادت تختفى ، وبدلا منها يرتفع الشعر الى
أعلى الرأس .

مع أبناء الجزائر على شاطئ السين

الكتب القديمة التى تنتشر على سور حديقة الأزيكية تجذبني غالبا الى الاطلاع عليها ، والقراءة فيها وشراء البعض منها .. وأنا فى طريق الذهاب الى المسرح أو العودة منه .

هذه الكتب التى بليت أغلفتها ، وغلبت الصفرة على أوراقها ، نخلق حول الحديقة جوا خاصا ينشر رائحة الثقافة وعبير المعرفة .

وعلى السور ، وفى الهواء الطلق ، يلتقى انتاج كبار الأدباء والعلماء والفنانين .. العرب والأجانب أهل اليمين واليسار .. الذين ماتوا والأحياء .

وتتجاوز الكتب ، وكأنها تتهامس فى صفاء ، وتتبادل المعرفة فى سكون .. لا يزعجها الا الأيدي الخشنة ، وهى تقلب صفحاتها ، ثم تلقى بها فى إهمال .. أو تنزعها من بين اخوتها الى مكان جديد .. غالبا مايكون مغلقا مظلم لا يعرف الهواء الطلق ، ولا ينعم بشمس الشمس .

وفى باريس اليوم ، رأيت هذه الكتب تلتقى على ضفتى نهر السين .. مكتبات خشبية كثيرة ، تنهض على سور الطريق الذى يحاذى النور .

وأعادتنى هذه الصورة ، الى سور حديقة الأزيكية .. وأقبلت على كتب نهر السين .. أقلبها وأتصفحها .

معظم الكتب باللغة الفرنسية ، ونادرا ما تجد كتابا بلغة أخرى .. وطبعا لم أجد كتابا واحدا بالعربية ..

وأفضيت مع هذه الكتب فترة الغروب ، والشمس تعكس ضوءها
الارجواني على مياه النهر .. وعندما تعذرت القراءة ، بدأ أصحاب
المكتبات يغلزون الأرفف الخشبية على الكتب حتى صباح يوم جديد .
انهم هناك لا يضيئون المكتبات مثلما يفعل أصحاب مكتبات سور
الأزبكية .. ولا يغسلون بالليل

وتابعت السير على شاطئ السين وأنا أحمل بعض الكتب التي
اشتريتها .. وأسعار الكتب القديمة ليست رخيصة مثل أسعار الكتب
عندنا .. ان نسئها مرتفع مثل ثمن كل شيء في فرنسا .

ونهر السين ليس عريضا ولا شامخا ، مثل النيل .. ولكنهم هنا
يحتفلون بالنهر الذي يخترق مدينتهم الكبيرة ..

الأنوار الهادئة تضيء جانبيه . والأشجار تحتضنه ، (والكبارى)
الكثيرة تصل بين شاطئيه ومراكب السياحة لا تتوقف عن المرور ..
ترتفع منها أصوات المرح ، وألحان الموسيقى .

وعبرت أحد (الكبارى) مع بعض الأصدقاء .. على طرفه تمثال
لهنرى الرابع مضاء اضاءة غير مباشرة ونزلنا عددا كبيرا من السلالم
الحجرية الى جزيرة صغيرة ، تمتد وسط النهر .

الخضرة تكسو الجزيرة الفاتنة عدا طريق صغير ، يحيط بها ..
وتتناثر حوله المقاعد الخشبية يجلس عليها العشاق .. يتبادلون القبلات
في حرية كالعصافير الصغيرة .

وعلى أحد المقاعد شاهدت أربعة شبان .. أحدهم يعزف على
« الجمبش » والآخر يعزف على « رق » بلا طارة من جلد .

النغمات جذبت أذني اليها .. انى أسعها نغمات شرقية .. ولكننا في
باريس !!..

واقتربت من العازفين .. وجلست مع الأصدقاء على المقعد المجاور ..
وتسللت الى الأذان كلمات عربية .

وازددنا اقترابا .. انهم يغنون فعلا احدى أغنيات فريد الأطرش .
وتبادلنا التحية .. ثم سألناهم :

— هل أنتم عرب ؟

وكان الجواب :

— نعم .. من الجزائر

وعندما قلنا :

— ونحن من القاهرة

تصافحت الأيدي في حرارة ملتجة .. وكأنا أصدقاء نلتقى بعد غياب طويل ..
وشعرت بالبهجة تغمرني ، وأنا أرى الود كاملا في العيون ،
وأسمع منهم كلمات الحب والتقدير للجمهورية العربية ، وللرئيس عبد الناصر ،
الذى وصفوه بأنه « رائد التحرر العربى والافريقى » .

وازدادت حلفتنا اتساعا .. بعض الأخوة الجزائريين أقبلوا من بعيد ..
يصافحون في ترحيب كلما عرفوا أننا من القاهرة .

وارتفعت نغمات (الرق والجنبش) تقدم ألحان وأغنيات عبد الوهاب وفريد الأطرش والكحلاوى وعبد الحليم .. وأغنيات عربية حديثة طعمت بكلمات فرنسية .

وأخذ البعض منهم يرقص داخل الحلقة ، ونحن نصفق .. والبعض منا يرقص وهم يصفقون ... وتوالى الأغنيات العربية فى قلب باريس ، يعزف ألحانها شباب الجزائر ، ويرددها معهم أبناء القاهرة .
وشملنا المرح ، وعمتنا النشوة ، ونبضت قلوبنا بالفرحة والامل المشترك .

وتحول العزف من الأغنيات الراقصة الى الأناشيد الوطنية .

انهم يعزفون نغماتها ، ولا يرددون كلماتها.. وطلبت ان أسمع أغنيات
لحن هزنى وعرفت منهم أنه اسمه « لحن الجبل » .

وقال البعض منهم .. انهم لا يعرفون الكلمات .. وحاولوا التخلص
منى .. ولكنى زدت اصرارا .

ونهمض عازف الجيبش ، وانتحى بى جانبا ، وهمس فى أذنى قائلا :
.. الواجب أن نكون حكماء .. وألا نردد كلمات هذا النشيد هنا..
حتى لا يتعرف عليها فرنسى أو جاسوس يعرف العربية .. فيصل البوليس
الىنا بعد لحظات !!..

وفهمت السر العميق .. وتلفت حولى فلاحظت أن بعض الأخوة
الجزائريين ، يراقب الطريق .. وانهم يتبادلون الهمسات التحذير .

وعندما سمعوا صوت أحد زملائهم من فوق الكوبرى .. تحولت
النغمات من الأناشيد الوطنية طجأة الى رقصات التشا تشاشا .. !!

كان جندى البوليس المكلف بالحراسة فى طريقه الىنا .. والمادة ١٦
من قانون الطوارئ الذى يطبقه دييجول تحرم اجتماع أكثر من أربعة
أفراد ، حتى ولو كانوا فى جزيرة صغيرة ، يعزفون الموسيقى ويرددون
الأغاني !!

وقال أحدهم : « ان الأفضل لنا جميعا أن ننصرف » . وكان عددنا
قد بلغ العشرين .. وقبل أن يصل جندى البوليس ، كنا نتفرق أفرادا ..
وكان أحدهم يقول اتنا من السياح الأمريكيين !!..

وافترقنا بلا كلمة وداع .. تفاهمنا بالقلوب .. وقدرنا الخطر الذى
يتعرض له هؤلاء الذين يحملون مسئولية الكفاح فى وسط البلد الذى
ما زال يتشبث بالاستعمار المنهار .

واسترجعت ما سمعته عن شباب الجزائر المناضلين في فرنسا .. انهم جميعا في خدمة جيش التحرير .. لا يشربون الخمر ، ولا يقربون الفرنسيات ، ولا يدخلون نوادي الليل ، ولا يعرفون الانحلال .. وهم يقدمون خدماتهم وحياتهم في بسالة واصرار من أجل تحرير بلدهم .

نسيت أن أقول .. انه كان قد أعلن وقف المفاوضات للمرة الثانية ، قبل هذا اللقاء ، الذي تحول الى أروع الذكريات .. قبل ذلك اليوم يوم واحد فقط !!..

خواطر :

✽ شاهدت في باريس دبابة ، يقف فوقها الحمام ، لا تزعجه خوذة الجندي ، ولا مدفعه الرشاش .

الجندي كان يتسم سعيدا بالحمام .. لعله يأمل في عودة السلام الى أرض الجزائر حماية لحياته وحياة شعبه .

✽ تكاد تختفي من باريس تسريحات الشعر المعقدة للسيدات .. التسريحات الجديدة تتميز بالبساطة وعدم اسدال الشعر على الجبهة أو رفعه كالمظلة الى أعلى !!..

✽ المسارح في باريس ، تسجل في اعلاناتها الوقت الذي تنتهي فيه المسرحيات .. هذا الوقت يكون دائما قبل منتصف الليل ، حتى يلحق الناس قطارات المترو .

إذا كانت المسرحية طويلة بدأت مبكرا .. ولعلنا نطبق هذا في القاهرة ، رحمة بالناس من تكاليف المواصلات .

✽ الدول الافريقية في اليونسكو ، أقامت حفلة مشتركة .. رقص طالبات وطلبة البعثات التعليمية على نغمات الطبل والرق .. والجلاليب البلدي فصلت في باريس !!..



المغرب

الدار البيضاء ليست عاصمة المغرب ، ولكنها
أجمل البلاد هناك وأكثرها حركة ونشاطا .. مطار
الدار البيضاء تهبط فيه كل الطائرات وهي تجذب
السائحين والتجار معا .. فيها رقى المدينة ونشاط
التجارة وروعة الفن .

والدار البيضاء أقرب المدن الى العاصمة
« الرباط » .. المسافة بينهما بالعربة لا تتجاوز
الساعة على طريق سهل ممهد .. وفي الرباط قصر
الملك محمد الخامس وقصر الحكومة .. وهي مدينة
صغيرة رائعة النظافة ، لا ترتفع مبانيها أكثر من
خمسة طوابق ، أجمل فنادقها يسمى « تور حسان »
تشرف عليه الحكومة وترتفع فوقه أعلام خمس دول
يعيش سفراؤها فيه .

ولنا هناك مركز ثقافى ما زال فى بداية الطريق
يحتاج الى عناية واهتمام كبيرين حتى يكون جديرا
باسم جمهوريتنا التى يحبها الناس لأنها تحمل اليهم
رائحة العروبة التى تسرى فى عروقهم مسرى الدماء .

حقيقة أنك لن تجد عربيا لا يتحدث انفرنسية ،

ولسكنك أيضا لن تجد عربيا ينبض قلبه بحب فرنسا .. الكل هناك يؤمنون بعروبيتهم ويعملون على دعم قوميتهم ودينهم ولغتهم ، وينزعون القيود التي فرضها الاستعمار في احتلاله الطويل لهم منذ عام ١٨٨١ .
والفنون في المغرب لها أسمى مكان .. في كل مدينة صغيرة أو كبيرة يوجد مسرح مكتمل المعدات ، كثير من الفرق الأجنبية فرنسية ، وأسبانية وعربية تقدم عرضها هناك وتلاقى من الاقبال ما يشجع الفنان ومن النقد ما يفيد الأعمال الفنية .

الاذاعة المغربية هي التي تدعو الفرق الأجنبية وهي التي تتعاقد معها على اقامة حفلات في مختلف البلاد ..

وأغرب الظواهر التي كانت في المغرب هي مدينة طنجة .. لها مطار خاص وجمارك خاصة وبينها وبين بقية بلاد المغرب حدود جسركية حتى على الطرق البرية .

طنجة كما تعرف كانت ميناء حرا دوليا تلتقى فيها بالمهجرين والجواسيس والقتلة وكل الضالين من الأجناس المختلفة : كالاسبان والهنود والفرنسيين والايطاليين .. أما السكان العرب فكانوا يعيشون في مأساة .. كانوا غرباء في أوطانهم ، المدينة تفرق أمامهم في طوفان من الانحلال والخطيئة ولا أحد منهم يستطيع دفع هذا الطوفان الذي يكتسح أمامه كل القيم .

ولكن في زيارتي لطنجة شاهدت تبديلا جديدا .. أبناء المغرب في كل المراكز الرئيسية ، النفوذ الأسباني يتضاءل ، عمليات التهريب والسرقه تقل وتنكمش .

الانحلال يزول ، النوادي الليلية تكاد تكون خالية ونساء الليل لا تجدهن في الطريق وتجار السوق السوداء بدأوا يهاجرون .. وأخذ الميناء يتحول الى مدينة مغربية ..

لن يتم ذلك في أيام وأسابيع ولكن طنجة في الطريق ، وغدا تلغى
الحواجز الجمركية بينها وبين مدن المغرب أو تتحول الى ميناء حر معترف
به ..

من الشمال . . الى الجنوب

وكثير من مدن المغرب ، تقع على المحيط الأطلنطي .. ترى البحر
وتشرف عليها الجبال خضراء يانعة عليها أشجار الفواكه ومن تحتها الخضرة
وكل من يزور المغرب لا بد أن تأخذ له الطبيعة الفاتنة .. الجبال الخضراء
والبحر الممتد والحقول المزدهرة وجدول الماء ، ونظافة المدن .

ومدن المغرب تمتد من البحر الأبيض الى ما يصل قرب خط الاستواء
.. مراكش .. التي كانت تسمى المغرب باسمها سابقا هي مدينة شرقية
تقع على خط عرض جنوب أسوان وحرارتها مرتفعة في شهور الصيف ..
وهي في الشتاء مشتی جميل .

ومع هذا فانه الى جوار مراكش جبال يعلوها الثلج يتزحلق الناس
فوقها في الصيف وفي الشتاء .

وفي هذه المدن المتناثرة يعيش ٨٠ ألف جزائري مهاجر كلهم يعملون
في قضية التحرير ، يساهمون بالأموال والأرواح في معركة الجزائر ،
وهناك مكاتب دائمة لحكومة الجزائر .

ولا تخلو المغرب من وزير أو مسئول من حكومة الجزائر .. والملك
محمد الخامس يرفع قضية الجزائر تماما كما يرفع قضية بلاده .

والناس جميعا يتجهون بقلوبهم الى البلاد العربية المجاورة يأملون
يوما أن تتحرر كل بلاد العرب ليصبح السفر ممكنا على طريق بري يمتد

من طنجة الى طرابلس والقاهرة وبيروت ودمشق وغدا تتحرر الجزائر
وتتحرر فلسطين .. ويلتقى كل العرب .. وهذا هو الهدف الذى يجتمع
من أجله مجلس الجامعة هناك فى الدار البيضاء أجمل مدن المغرب
العربى .

زفة العيد

وجه لى مولاي أحمد العلوى وزير الأنباء والسياحة فى حكومة
المغرب الدعوة لحضور صلاة العيد فى القصر الملكى .

وقبل أن تعلن الساعة التاسعة كان يتحرك معنا فى ثلاث عربات من
مبنى الوزارة الى القصر وكان معنا بعض السياح والصحفيون الأجانب .

وموعد الصلاة فى المغرب يختلف قليلا عن مواعيدها عندنا .. صلاة
العيد فى التاسعة صباحا وليست مع شروق الشمس .. وصلاة الجمعة
فى الواحدة أو الثانية وليست مع موعد صلاة الظهر باعتبارها صلاة
للجماعة .

والعيد أيضا كان فى المغرب يوم الجمعة أى بعدنا بيومين ..

وما أن أشرفنا على القصر الملكى حتى رأينا الجنود فى ملابسهم
العربية الزاهية المتنوعة يركبون الخيل أو يقفون صفوفًا حول القصر ..
ومن خلفهم أبناء الشعب فى ملابسهم الجديدة تنطق وجوههم بفرحة
العيد ، وهم يهللون ويكبرون .

وفى ساحة كبيرة أقيم سرادق صغير .. اجتمع فيه كبار رجال الدولة
وسفراء الدول الإسلامية ونزل اليهم الملك الحسن الثانى . فى الساعة
التاسعة تماما ثم تبادل معهم التهانى وأقام الصلاة .

ثم أحضروا اليه كبشين كبيرين . ذبح أحدهما بيده .. وما أن سالت
دماء الضحية ، حتى ارتفعت الأصوات بالتكبير وأطلقت المدافع ايذاً
بالعيد .. وحملت الضحيتان في عربتين من عربات الجيب وهما يزفران
الزفرات الأخسيرة في الحياة مرتاً بهما على الجماهير المحتشدة حول
القصر .

وبدأت زفة العيد .. الملك على حصانه في ملابسهِ العربية التقليدية ،
ومن خلفه بعض رجال الدولة ثم « تنابلة السلطان » في ملابسهم الخضراء
.. ولملت عدسات التصوير تلتقط صور هذه « الزفة التقليدية » وهي
تعبّر طريقها من السراشق الى مقر التشريفات الملكية .

والحقيقة اننى شعرت ببهجة حقيقية وأنا أشاهد هذا الاحتفال الذى
يجتمع فيه الملك مع الشعب احتفالاً بعيد الأضحى .

وتذكرت تقاليدنا البسيطة في الاحتفال بالأعياد ومولد النبى وخاصة
في القرى عندما يخرج الفلاحون في جماعات يمرون على الدور المختلفة
ويتبادلون التهاني والترحيب منذ شروق الشمس حتى صلاة الظهر .. أو
في مولد النبى عندما يقيمون زفة تطوف حول القرية ترتفع فيها أصوات
الذكر مع نغمات الطبول والصاجات وكلمات المداحين .. وتقابلها في كل
مكان الزغاريد .. وتتحول القرية الى كرنفال شعبى يتكرر كل عام .

أغرب مدينة في العالم العربى

شاهدت اليوم أغرب مدينة في العالم العربى .

مدينة في المغرب تسمى « مليليا » على شاطئ البحر الأبيض ،
مازالت تحتلها أسبانيا وليس هناك فاصل واضح بينها وبين المدينة
المغربية الناضور .. اذ أن الحدود بينهما تقوم وسط شارع واحد .

الجنود في ملابسهم الكاكي ، أكثر عددا من المدنيين .

انهم يزحمون شوارع المدينة الصغيرة حيث اعتساد الأسبان أن يمنعوا مرور العربات في الشوارع الرئيسية في فترة الغروب والليل .. حتى ينعم الناس بالسير فيها والجلوس على المقاهي بلا ازعاج .

وبين هذه المدينة ، التي يتاجر فيها بكل العملات .. وبين محافظة « الناضور » المغربية حدود وحواجز جمركية .. ولا يمكن الانتقال بين البلدين الا بعد اتخاذ الاجراءات الكاملة للمسافرين 1..

عندما دعا محافظ « الناضور » المسرح القومي لتقديم حفلة مسرحية في مقر محافظته .. كانت هذه هي المرة الأولى التي تزور فيها فرقة مسرحية عربية هذه المدينة .

وأعد لنا المحافظ فندق المبيت في « مليليا » .. واستغرق انتقالنا من الناضور اليها ساعة كاملة . . لانهاء الاجراءات الشكلية للانتقال بين الدولتين 1..

وقضينا عدم العودة اليها بعد التمثيل حتى لا يتكرر الانتظار .

وعندما سألت محافظ الناضور الشاب الوطني عن قصة « مليليا » .. قال انها عربية تماما .. وانها لا بد ستعود الى المغرب العربي .

ويزداد عجبك عندما تعلم ان مليليا لا يتجاوز سكانها ثمانين ألفا .. وضع فرائكو بينهم ٣٥ ألف جندي أسباني . . أى قدر عدد الجيش المغربى 11

متى تعرف أسبانيا .. أن مثل هذا العدد من الجنود لا يمكن أن يمنع هذه المدينة الصغيرة من العودة الى الوطن الأم .

الرباط – فرنسا تغير مواعيد صلاة الجمعة !!

كل شيء في المغرب جميل ..

الطبيعة والناس أيضا .. وأهم صفة تلاحظها هناك الأدب الجهم الذي يتحلى به كل انسان ، لا تلاحظ الغضب على وجه أحد ، ولا تشاهد معركة تلتحم فيها الأيدي ونادرا ما يفقد أحد الناس أعصابه .

والناس في المغرب يتكلمون الفرنسية حتى البسطاء الذين لم يتعلموا .. واللغة العربية تنطق بلهجة خاصة ليست بعيدة من لهجتنا وليست عسيرة الفهم ولكنها تبدو للزائر الجديد ذات وقع موسيقى غريب .

ورغم أن الألسن هناك تنطق الفرنسية الا أن القلوب كلها عربية.. وعقول الناس تفكر بلغتهم الأصلية التي حاول الاستعمار أن يدمرها ويلاشيها ويفرض لغته على العقول والقلوب .

صلاة الجمعة بالتناوب

ومن أغرب ما لاحظته في المغرب أن صلاة الجمعة لا تؤدي في وقت واحد في كل المساجد .

كانت الساعة الواحدة والنصف عندما شاهدت بعض موظفي سفارتنا في طريقهم الى المسجد ولما تعجبت علمت أن صلاة الجمعة تؤدي في المساجد بالتناوب تبدأ في الثانية عشرة وتنتهي قرب الثالثة .. مسجد ينتهي ويبدأ الآخر وهكذا ...

وعلمت أن ذلك كان حرصا من الاستعمار على ألا يتجمع الناس في
المساجد في وقت واحد للصلاة خشية أن يؤدي اجتماعهم الى الثورة
والانفجار .

ولا عجب فان الفرنسيين هناك كانوا يعيشون في رعب ، يقيمون
بين الأحياء العربية والأحياء التي يعيشون فيها سورا يسنع وصول
الناس اليهم ..

ولكن اليوم تهدمت الأسوار وأصبح شعب المغرب يعرف طريقه في
مجموعة الدول الحرة المستقلة .

أيام لها رحيق خاص

أشعر أحيانا أن حياتي تكاد تصبح راكدة مثل بركة المياه الآسنة ..
لا شيء يهتز فيها ولا يتحرك .. كل شيء يهبط الى القاع .. وأحس أن
خيوطا من الملل تنسج حولي كبيت العنكبوت ، تقيدني وتكاد تختفي
.. وإن الرتابة التي يمضي عليها اليوم ، تدفعني الى الكسل الذي يجمد
أفكاري ، ويحول رأسي الى صخرة صماء .

وأنا لا أطيق أن أتحول الى جسم يتحرك ولسان يتكلم ، وبظرة
زائغة وأفكار متعثرة .

هنا أشعر بالقلق يجتاحني .. أطلب الهرب من هذا الجمود ، كما
تهرب الفريسة من صياد يقطع عليها الطريق .

كل شيء جديد يهز حياتي ، ويثير أفكاري ، ويدفعني الى النشاط
الجسمي والعقلي ، ويعيد الي الحيوية ، ويعمر حياتي بالذكريات .

وقد أمضيت في المغرب عدة أيام ، تختلف تماما عما تعودته في حياتي
اليومية .. كل شيء فيها كما يبدو غريبا وشاذا ، لا يمكن أن يفعله
الإنسان مختارا .. ومع هذا كان لهذه الأيام مذاق خاص ، لا يضيع من
النفس في سهولة .

ولعل أغلبنا قد تعود أن يبدأ يومه بالاطلاع على الجرائد في الصباح
.. وتناول شراب ساخن مع الفطور .. ثم الذهاب الى العمل .. والعودة
الى الدار للغداء والنوم ثم الاستعداد لاستقبال الليل كل بطريقته الخاصة
التي يرتاح لها ويسعد بها .

ولكن أيامى فى المغرب .. حطمت كل هذه القواعد .. وتبدأ القصة
بعد افتتاح مهرجان مسارح دول البحر الأبيض المتوسط ..

والمغرب بلاد الطبيعة الفاتنة .. مساحته شاسعة ، والمسافات بين مدنه
طويلة ، ولكنها ترتبط جميعا بطريق ممهدة ، والتفكير فى السفر عندهم
يختلف عنه عندنا تماما .

نحن نفكر مثلا ، قبل السفر من القاهرة الى الاسكندرية ، والمسافة
بينهما لا تتجاوز ٢٠٠ كيلو متر .. وأظن ان أحدا لا يجرؤ على السفر
بالسيارة من القاهرة الى سوهاج فى يوم واحد .. واذا ارتحلت عائلة الى
مرسى مطروح ، أعدت لذلك العدة قبلها بأيام طويلة ..

أما هنا فى المغرب .. فانهم يسهرون مثلا فى الدار البيضاء ، ويبيتون
فى الرباط ، والمسافة بينهما ١٠٠ كيلو متر .. وأحيانا يلبون دعوة للغداء
فى مكناس ثم يعودون والمسافة ١٥٠ كيلومترا .. ويصحب الرجل أسرته
لتمضية عطلة الأسبوع على الشاطئ فى طنجة والمسافة تزيد عن
٤٠٠ كيلو ..

وهكذا السفر لمسافات طويلة من الأمور العادية ، التى يقبلون عليها
كثيرا .. ومن هنا تبدأ قصة هذه الأيام ..

أبلغنى الكثيرون أن أهالى مدينة (اوجدا) يطلبون حضور المسرح
القومى .. لأنه لم يذهب الى مناطق الشمال .. وان فرقة مسرحية عربية
لم تزر مدينتهم منذ أكثر من عشر سنوات ..

وافقت على السفر بلا تردد ، وخاصة عندما علمت أن هذه المدينة ،
تقع قريبا من الحدود الجزائرية وان بها قيادة جيش التحرير على
الحدود .

وعندما سألت عن المسافة قالوا فى بساطة (انها ٢٩٠ كيلومترا فقط ،
تقطعها العربية فى ثمانى أو تسع ساعات . . ثم تقوم بالتمثيل فى نفس
الليلة ..

وبدأت رحلتنا من الدار البيضاء متأخرة قليلا .. . اذ تحركنا في العاشرة والنصف .. وسبقتنا عربة صغيرة ضمت عددا من الممثلين الذين تحتاج صحتهم للراحة والعناية .

وكان اليوم حارا .. وتزداد الحرارة كلما ابتعدنا عن البحر، ودخلنا منطقة جبال الأطلس .. وفي مكناس توقفنا للغداء .. ولكن المطاعم جميعا كانت قد انتهت من تقديم الطعام .. فانهم يتبعون النظام الفرنسى الذى تقدم فيه وجبة الغداء من الثانية عشرة ظهرا الى الثانية مساء فقط .

وارتضينا الجوع ، وأقبلنا على الثلجات .. وعندما بدأنا تتحرك ، كانت العربة قد احتاجت الى اصلاح امتد ساعة كاملة .

ثم وصلنا (فاس) والساعة تشير الى الرابعة والنصف .. والخريطة تشير الى أن (فاس) هى منتصف الطريق .

وبدأنا نجرى عمليات حسابية ، نحدد موعد وصولنا الى المسرح ، ويأخذنا التفاوض الى أن الستارة ، لن تتأخر عن موعدها .. والتقت رغبة الجميع فى الذهاب الى المسرح أولا ، دون المرور على الفندق للنظافة وازالة تراب السفر .

واصلنا المشوار الطويل .. دون طعام .. ولعل هذا كان خيرا لنا فى هذا الجو الحار .. وبين المناظر الرائعة التى تتغير وتتلون ، والجبال التى تعلو حول الوديان الخضراء ، واصلنا رحلتنا حتى الغروب .. ثم تابعنا الطريق فى الليل .

وبدأت أحصر الدقائق .. الوقت يمر .. وموعد الستار يقترب ، والسائق يعلن أننا نكاد نصل فانه لم يبق الا ٢٠٠ كيلو فقط .. ومرة أخرى نعود الى حساب الزمن والمسافات .. ونحن نطمئن أنفسنا بأن أحد الزملاء الذين سبقوا فى السيارة الصغيرة ، لا بد وأنه سيعتذر للجمهور عن التأخير - اذا حدث -

والظلام أصبح يكسو كل شيء .. ونسمات الليل الباردة ، ترطب من.
حرارة حديد العربة الساخن .. ولكن القلق بدأ يثور في نفسى ..

كيف سيتصرف الجمهور اذا وصلنا فى العاشرة ؟

ثم كيف سيتصرف اذا تأخرنا عن ذلك الموعد نصف ساعة ؟

وماذا يحدث اذا زاد التأخير عن ذلك .. ؟

ولكن العربة تسرع .. والعداد يشير الى ١٠٠ كيلو فى الساعة ..
وأرقام المسافات على جانبى الطريق تصغر بيننا وبين (أوجدا) .. انها
الآن أقل من ٩٠ كيلو .. ثم ها هى تشير الى ٨٠ ثم ٧٠ ثم ٦٥ .. ثم ماذا
حدث ؟

دخان قليل بدأ ينبعث من العربة .. ورائحة شياط بدأت تنفذ الى
الأنوف .. وأوقف السائق العربة وترددت صيحة جماعية .. (يوه ..
هوه احنا عندنا وقت) ..

ولكن .. ما الجدوى والعربة تتعثر .. تقف والدخان يكاد يغلفها ..
والسائق يجازف بالسير بها أحيانا .. ولكنها لا تواصل السير وتتعلل ..
ونزلنا جميعا من العربة .. الظلام كثيف .. والقلق يهدأ ويتحول الى
يأس مرير .. محاولات اصلاح العربة لا تنجح .. لا سبيل أمامنا الا
البقاء فى الطريق .. ونحن على بعد ٦٠ كيلو من الجماهير التى تنتظر رفع
الستار ..

وليست هناك عربات على الطريق .. لم يعد هناك أمل .. وتحركنا
نحو احدى البلاد .. يبدو أنها مركز من مراكز البوليس .. وأضواء
الكهرباء فيها تضىء الطريق .. ولكنها كالسراب لاتحمل لنا شيئا ..
الشوارع خالية تماما .. والدكاكين مغلقة .. والمدينة تبدو كالمهجورة ...
والليل يكاد ينتصف .

وسرنا معا كالقافلة الحائرة .. فبحث عن نجوة .. حتى سمعنا من بعيد صوت مذياع ودكان مفتوح لا بد أنها مقهى ولا بد أن هناك شرابا وطعاما .. فنحن لم نأكل منذ الصباح .. الا أطعمة جافة قليلة كان يحتفظ بها بعض الزملاء ..

ومضى بعضنا يجرى ليكون أول الواقفين على الخير المنتظر .. ولكن الصدمة لهم كانت قاسية .. كان دكان أحذية ، يسهر فيه صاحبه يرتق النعال وهو يستمع الى المذياع .. المحل الوحيد المتيقظ كان محل أحذية ..

وبحث لنا صاحب المحل عن صاحب مقهى مجاور .. فتحه لنا ولم يكن فيه شيء سوى بعض المياه الغازية المحلية .. فقد كنا في منطقة شعبية ، الناس فيها أماننا كانوا نأمن على الأرصفة !..

وحضر لنا البوليس ، واتصلنا بالمرح في أوجدا .. وعلمنا أن الجمهور قد انصرف قلقا على هؤلاء الذين حضروا الى المغرب من القاهرة .. ولم تصل عربتهم حتى الحادية عشرة مساء .

ومضت بنا ثلاث ساعات في مدينة (العيون) قبل أن يرسل لنا عامل أوجدا « أى محافظها » عربية من عربات البوليس المكشوفة ، التي تشابه لواري الجيش التي نشاهدها في القاهرة .

وصعد الفنانون والفنانات الى هذه العربة التي يعصف فيها هواء الليل البارد .. اثنا في الطريق الى السرير بعد يوم شاق طويل .. ولكن أحدا لم يفقد أعصابه .. وكان البعض مرحا وكأنه يجتاز تجربة لذيدة سليمة .. والبعض يكبت متاعبه ، وهو يحلم بوجبة ساخنة وفراش يستكين له جسمه المجهد .

وعلى مشارف المدينة ، شاهدنا نارا تلتهب فوق جبل قريب ، وسمعنا من بعيد طلقات المدافع والرصاص ..

وعندما سألنا ، علمنا أن هذا من الأمور الطبيعية في (اوجدا) التي تبعد ٤ كيلومترات فقط عن حدود المغرب والجزائر حيث تستمر معارك

جيش التحرير الجزائرى كل يوم .. ويحرق الفرنسيون الغابات والأشجار
ليحاصروا الأبطال المناضلين .. ولكن هؤلاء لا يدخلون المصيدة أبدا
ويكيلون لهم دائما أقسى الضربات الباسلة .

وبعد ليلة واحدة فى (اوجدا) ذهبنا الى (الناضور) على شاطئ
البحر الأبيض ، وكانت هذه هى المرة الأولى فى تاريخ هذه المدينة ، ان
تشاهد فرقة مسرحية .. وكان مفروضا ان تذهب بعدها الى تطوان .

وعندما سألنا عن المسافة قالوا (٤٠٠ كيلو متر) .. وقلنا بسيطة
تتحرك غدا فى التاسعة .. ونصل بالتأكيد قبل التمثيل .. ولكنهم قالوا
ان الطريق كله منحنيات ، يمضى بين الجبال فى أروع المناظر .. وان
العربة الكبيرة تقطعه فى ١٢ ساعة ١٠٠

ما العمل ؟..

تحركنا بعد التمثيل مباشرة ، وبعد تناول الشاي فى منزل العامل ..
وكانت الساعة تشير الى الثانية والنصف ليلا ..

وتخلف بعض المرضى للسفر بطائرة صغيرة تسع سبعة أفراد فقط،
وتطير بين الناضور وتطوان للتغلب على وعورة الطريق .

وتحول الأوتوبيس الى غرفة للنوم ، وأشرق علينا الفجر ونحن نمضى
على طريق تحيط به الوديان الهاوية الى مئات الأمتار من كل جانب ..
والبعض أعصابهم مشدودة ، لا يستطيعون النوم من رهبة الطريق ..
والبعض فى أسعد الأحلام ، وكأنهم فوق فراش وثير .

وفى الصباح ، لم يتناول أحد شرابا ساخنا ، ولم يجد ماء ليغسل
وجهه ، ولم يطالع الجرائد . ولم ينعم بشيء مما ينعم به فى حياته العادية.

ومع هذا فقد كانت هذه الأيام التى تغير فيها كل شيء فى نظام
المعيشة اليومية ، هى أجمل أيام الرحلة .. لأنها أضاعت الركود ..
وأدخلتنا تجارب جديدة .. سوف تعيش فى ذكرياتنا .. ونحدث عنها
كأيام لها رحيق خاص .



في بلاد الشمال

بدائيون في النرويج !

مع ٦٤٠ ألف نسمة في اجمل مدن الشمال

المرأة آخر ما يهتم به الرجل النرويجي !!

أصغر عواصم أوروبا سكانا - اذا استثنينا
لوكسمبرج - يقطعها الانسان سيرا على الأقدام
في مدة لا تقل عن أربعة أيام .

أوسلو عاصمة النرويج سكانها ٦٤٠ ألف نسمة
ولكن مساحتها واسعة تكاد تكون بلا حدود ، تختلط
الطبيعة فيها مع هندسة العمران .. الغابات والحدائق
والبحيرات والخلجان الصغيرة كلها تجتمع في أسلو
التي تكسوها الزهور ، وتخضر الجبال من حولها
في فصل الربيع .

أكثر بلاد الشمال فتنة ، وأقربها الى الطبيعة ..
معظم دورها فيلات صغيرة بها الحدائق .. لا ترتفع
فيها العمارات كثيرا .. هناك ناطحة سحاب واحدة
يملكها مسيو تريجنفى لى السكرتير العام السابق
للأمم المتحدة .

أول قنبلة

المدينة لم تخربها الحرب كثيرا .. سلمها
كويسلنج للألمان .. وهرب رجال المقاومة مع الملك
الى جبال الشمال ثم عبروا البحر الى انجلترا حيث

عادوا من جديد يؤرقون أحلام الغزاة ... ومن سخرية القدر أن أول قنبلة سقطت على أوصلو هدمت دار السفير الايطالى فى الترويج .. وكان الايطاليون حلفاء للألمان !..

وأنت ترى فى قرى الشمال صورة حية لما رسمه « جون شتاينيك » الكاتب الأمريكى الكبير فى قصته الطويلة عن المقاومة « عندما يغيب القمر » التى قدمت على المسرح فى القاهرة تحت اسم « تحت الرماد » .. الناس يعيشون فى هدوء عواطفهم تحت ركام من الثلوج مقاومتهم سلبية ، وحياتهم لا تعرف الثورة .. والبرد يحبسهم فى الدور ولكنهم فى النهاية ينتصرون كما انتصروا على الطبيعة القاسية التى تحيل بعض أيامهم الى ليل طويل والبعض الآخر الى نهار متصل الشمس فيه لا تغيب ..

فى دائرة القطب الشمالى ، وفى مدينة « بودوى » التى يبلغ عدد سكانها ١٢٠٠٠ تجد حياة راقية لا تنعم بها قرية أخرى فى أوروبا .. شوارع متسعة ، ودور نظيفة ، ومطاعم أنيقة ، تنبعث منها الموسيقى ، ومحلات عامرة بالضروريات والكماليات .. ومع هذا فالناس يقاومون الأعاصير والثلوج ، ويعتمدون على صيد الأسماك !..

مسرح صغير

فى البلدة مسرح صغير تقدم عليه الأغاني والرقصات الشعبية ، وتحضر اليها بعض الفرق المسرحية من أوصلو لتقدم عدة مسرحيات .. وهناك اتجاه واضح فى مدن الشمال للاهتمام بالفنون الشعبية .. كانت التحية التى قدمت لنا فى الوداع عدة رقصات شعبية من صبنى فى الثالثة عشرة وأخته فى الحادية عشرة والوالد هو الذى يعزف لهما .. والرقص كان يتراوح بين رقصات العمل والحب والغزل .. وهى تسمى هنا رقصات الهولنجز وهى تشابه البولكا .

وفي هذه المدينة تصدر جريدتان محليتان لهما مطابعتها الخاصة ..
وبها سبع مكاتب تحتشد فيها الكتب ومجلات العالم وجرائده .
هذه المدينة تبعد حوالى ١٠٠٠ ميل عن العاصمة .. والطائرة تصلها
فى ساعتين ١٠٠!

قبائل متوحشة فى النرويج

هل تصدق أن هناك قبائل تعيش حياة بدائية فى النرويج ؟
هل تصدق أن هناك من البشر قوم لا يعرفون المدنية حتى اليوم ..
يعيشون فى الجبال .. ينيرون بالشحم .. يهربون من المدن ؟

قبائل خاصة

هؤلاء القوم غير الاسكيمو ، الذين تعرف حياتهم فى مركز القطب
الشمالى .. انهم قبائل خاصة هاجرت الى هذه البلاد منذ القدم .. هم
سكانها الأصليون كالهنود الحمر فى أمريكا .

ما من أحد كان يعرف عنهم شيئاً .. حتى سأل الزميل الأستاذ فكرى
أباظه أحد رجال الصحافة المحليين عن هذه القبائل .. سألته ونحن نعبّر
بحراً فى الخلجان بين سلاسل جبال القطب التى تغطيها الثلوج .. وقال
الصحفى أنه لا يعرف عنهم شيئاً ..

وثار فكرى أباظه ثورته الظريفة وأقسم ان هذه القبائل توجد فى
هذا المكان بالذات .. واتجه الى أحد مندوبى شركة الخطوط
الاسكندنافية المرافق لنا يسأله .. ويبدو أنه كان خبيراً بهذا الموضوع
فقد أكد حديث فكرى أباظه .. وعلل تأخرهم الفكرى والمادى الى
أسلوب تفكيرهم الخاص .

وهكذا أثبت فكرى أباطه أنه خير بشئون القطب الشمالى ..!

وفكرى أباطه يزور النرويج للمرة الثانية .. زارها قبل عام ١٩٣٩ أثناء انعقاد المؤتمر البرلمانى فى أوسلو .. وأثناء اجتماعات المؤتمر أعلن السكرتير فى كلمات مرتعشة أن الحرب قد أعلنت وان هتلر قد اجتاح بولندا .. وان الطائرة الأخيرة لأوروبا تقوم بعد ساعات الى أمستردام بهولندا .

وخرج فكرى أباطة يجرى بأقصى سرعة من دار البرلمان - حيث يجتمع المؤتمر - ليلحق بالطائرة . بعد أن فكر هو وزملاؤه فى الالتجاء الى النرويج البلد المحايد الذى لا ينتظر أن يتعرض لويلات الحرب .

بطل السلام

وهنا فى ١٠ ديسمبر من كل عام يحتفل الشعب مع الحكومة باستقبال بطل السلام الذى تقرر له جائزة نوبل للسلام .. فى ستوكهولم تقدم جائزة الأدب ، وجائزة العلوم ، وفى أوسلو تقدم جائزة السلام .. آخر من حصل على الجائزة العالم الطبيب ألبرت شفيترز الذى استقبل استقبالا لا شك أنه حمل معه ذكرياته الى قلب أفريقيا حيث يعيش .

حياة الانسان فى لوحة فنان

من أجمل دور البلديات فى العالم .. دار بلدية أوسلو

الفن فيها تعلو كلمته .. الرسام والنحات يضعان اللمسات الرائعة فى كل زاوية من البناء عندما تقبل على دار البلدية يخيّل اليك انها تحتضنك، وفى الطريق عن اليمين وعن الشمال لوحات بارزة فى الجدران .. والمدخل

بمتسع ، كله من المرمر تزيينه لوحات الرسام النرويجي الشهير الذي
رسم لوحات مقر عصبة الأمم في جنيف .

هرب الملك

في كل قاعة تغطي الجدران بلوحات فنية .. في احدى القاعات خمس
لوحات تشل هرب الملك الى انجلترا مع ٦٥ ألفا من أبناء البلاد ، وقصة
المقاومة السرية ، وتعذيب الألمان ، وأخيرا فرحة الانتصار .

وفي قاعة أخرى رسومات متداخلة تغطي كل الجدران لتنقلك الى
حياة الانسان في المعسك وفي الحقل .. في راحته على الشاطئ وهو
يغنى ويعزف ويرقص ويغنى أغنيات الحب ويتبادل همسات الغرام .. في
المنزل مشاحنات الأزواج . ومعارك الأطفال .. اللعب في الشارع والبيع
والشراء .. والحيوانات والجليد وقطع الأشجار والمرضى والأساطير ..
كل شيء في حياة الانسان تراه على هذا الجدار بأسلوب رائع أخاذ .

حتى منصة رئيس المجلس البلدى فوقها لوحة ترتفع سبعة أمتار تمثل
جبال الطبيعة في الربيع وفي السلام .

مجلس بلدية أوسلو انتصار للفن والذوق ..

وبلديتنا التي ستفتح بعد أسابيع .. نرجو أن يرتفع فيها أيضا رأى
الفنان الى جانب رأى المهندس والمقاول .

عرايا على البلاج

البنت هنا لا تتزوج قبل الخامسة والعشرين رغم انها جميلة ورشيقة
والرجل في بلاد الشمال يهتم بأشياء كثيرة في حياته .. ربما كانت المرأة
آخرها .. كل المرافقين لنا والخطباء في الحفلات كانوا يتحدثون عن نساء

بلادهم الجميلات ، والغيرة هنا لفظ باهت لا يشكل خطرا في علاقات
الناس ولا يعرفه الرجال ١٠٠ وعلى البلاج يستحم الناس عرايا تماما بلا
خجل أو حياء ١٠٠

الى القطب

هل تعلم أن النرويجيين قاموا بأول محاولة للوصول الى مركز
القطب الشمالى عام ١٨٩٣ وامتدت حتى عام ١٨٩٦ ثم فشلت ؟

وانهم قاموا بمحاولة ثانية عام ١٨٩٨ وامتدت حتى عام ١٩٠٢
وفشلت . وانهم نجحوا فى ١٤ ديسمبر عام ١٩١١ فى الوصول لا الى
مركز القطب الشمالى بل الى مركز القطب الجنوبى فى أقصى الجنوب
وسبقوا بعثة بريطانية كانت تنوى الذهاب الى هناك .

وأخيرا فان الذى وصل الى مركز القطب الشمالى للمرة الأولى فى
التاريخ كانت بعثة بريطانية ولم تكن من أهل النرويج ١٠٠

استوكهولم ..

أفخم مطعم في استوكهولم يديره مصرى

في مطعم « ريتس » الأنيق بستوكهولم .. يقف شاب رفيع قصير ..
ينحنى وهو يستقبلك ويبتسم لك وهو يقودك الى احدى الموائد الخالية
.. هذا الشاب لم يلفت نظرنا ونحن ندخل المطعم .. ولكنه بعد أن
تجلسنا تقدم إلينا وجبانا بالعربية ثم عرفنا بنفسه قائلا :

— أنا بهجت من القاهرة .

ووراء عمله في ستوكهولم قصة .. تخرج من مدرسة الفنادق في
سويسرا ، وعاد الى القاهرة حيث وجد عملا في الكوتنتنتال .. وكان عليه
أما أن يغض عينيه ويترك السرقات تمضي أمامه وأما أن يكشف عن
الحقيقة ويقامر بمستقبله ..

واختار الطريق الأخير الشريف .. وهاجر الى ستوكهولم وهو لا
يعرف حرفا واحدا من اللغة السويدية ، والتحق هناك بمدرسة للفنادق
مدة الدراسة بها خمسة أعوام .. تعلم في السنة الأولى الطبخ وعندما
عرف لغة البلاد خلع المريلة البيضاء وعاد الى عمله الأصلي «مترودوتيل»
في أفخم مطعم ..

وبهجت متزوج من سويدية حسناء وله ابن صغير .. وهو يؤمن
بالمثل القائل : « لا كرامة لنبي في قومه » !

كوبنهاجن

عندما بكت المضيفة الحسنة رغم محاولات فكرى أباطه الضاحكة !
« فيرا » اسم لا شك انه سوف يتردد في القاهرة وأثينا وأنقرة

وطهران وبيروت وعمان وفي كل بلد أفبل منه صحفيون لزيارة البلاد.
الاسكندنافية .

فيرا هو اسم المضيضة السويدية الحسناء التي استقبلتنا في أثينا
وودعتنا في كوبنهاجن ، وعاشت معنا في الصباح وفي المساء ، عشرة أيام
لا تتخلف عن حضور الطعام معنا والسهرات والحفلات ولا تختفى
الابتسامة المشرقة عن وجهها ، ولا يجهدا الحديث مع كل الراغبين ..
ولا ترفض الرقص مع الراقصين .. وهى دائما تشعر أنك هنا لك ..
والحقيقة انها كانت تعرف واجبها تماما .. فهى كانت للجميع ولم تكن
لأحد .. !

فيرا الحسناء التي ألهمت القلوب ، بكت أمامنا .. لم تستطع أن تمنع
حبات اللؤلؤ التي تساقطت من العيون ، رغم محاولات فكرى أباطله
الضاحكة ..

بكت فيرا في مزرعة على بعد ٦٠ كيلو مترا من كوبنهاجن وهى
تشهد عملية ذبح الدجاج بالجملة .. في اليوم الواحد يذبح ما يزيد عن
٢٠٠٠٠٠ دجاجة بطريقة تؤلم النفس .. وتثير الأعصاب .

يلقى الدجاج من أرجله وتتعالى صيحات الدجاج وكأنه يشعر
بالموت يقترب ويمر بعد ذلك على ثلاثة جزارين كل منهم يضرب
الدجاجة على رأسها لتفقد الرشد ، ثم يذبحها بسكين .. وتمضى العملية
بطريقة آلية حتى يلف الدجاج نظيفا في ورق السلوفان .

بكت فيرا وهى تشهد الدماء .. تشنجت وتساقطت من عينيها
الدموع .. ولم تستطع ان تحمل الابتسامة المضيضة على شفثتها .

ولكن فيرا في المساء كانت تبتسم للجميع ، وكانت أيضا تأكل
الدجاج ..

عندما وصلت الى القاهرة ، سمعت من بعض
الأصدقاء ، الذين تفضلوا بتوديعي في المطار أن
الطائرة تـ٠ى٠ ١٠٤ ما كادت تلحق بنا في الفضاء
حتى اختفت في لمح البصر .

ولا عجب .. فقد كنا بعد سبع دقائق فوق البحر
الأيض المتوسط في طريقنا الى موسكو .

والذى يركب هذه الطائرة الجبارة ، يشعر بأنه
سيد الفضاء فعلا ، يخلق دائما فوق السحاب * يعلو
من مطبات الهواء لا هزات ولا ارتجاج * * اذا وضعت
القرش على حافته ثبت في موضعه ، واذا نظرت من
النافذة رأيت الشمس تصاحبك في رحلتك .

الطائرة كبيرة تسع ١٢٠ راكبا * ولكن الذين
ركبوها من القاهرة كانوا ١٥ راكبا فقط ، تناثروا
في المقاعد ، فبدت كأنها خالية .

وفي كل مقعد أنبوبة بجهاز للأوكسجين يزود به
الراكب اذا شعر بشيء من التعب .

والمضيفة لم تتصل بنا عن طريق الميكروفون *
مرت على الركاب لقلتهم جماعة بعد أخرى * وأعلنت

فى لهجة وديعة .. وبلغة انجليزية سليمة أن الطائرة على ارتفاع تسعة كيلو مترات وسرعتها ٩٢٠ كيلو مترا فى الساعة .

وكان مقررا أن تصل من القاهرة الى موسكو فى خمس ساعات ونصف الساعة . ولكن عندما وصلت الطائرة الى تيرانا عاصمة ألبانيا، أبلغنا الكابتن أن الطائرة لن تقوم هذه الليلة ، وان علينا أن نمضى الليلة هناك .

وقال صلاح سالم . انها فرصة ، نرى فيها مدينة صغيرة . ربما انفردت بخواص معينة .

والحقيقة ان تيرانا عاصمة أوروبية تستحق التأمل .. انها بلدة صغيرة بها شارع واحد كبير ومتسع . يضم الجامعة والبرلمان ومبنى الحكومة وفندق ارثى وهو أكبر الفنادق وأفخمها ومكان سيشيد فيه قصر للثقافة يبنيه الاتحاد السوفييتى هدية لألبانيا .

وسكان ألبانيا يبلغون حوالى مليون ونصف مليون ، يعيش معظمهم فى الجبال ، وهم من أجل هذا محاربون أشداء ، قاوموا الغزوالإيطالى فى عنف واصرار . وحطموا على صخرة مقاومتهم أسطورة موسوليسى المريضة .

ومع هذا فاللغة الثانية فى ألبانيا هى اللغة الإيطالية . وأعظم ما يفخر به الألبانيون اليوم .. هو تحول دولتهم من دولة تستورد كل شئ حتى الصابون والملح الى دولة تنتج معظم السلع الاستهلاكية والمواد الغذائية .

جميلة وبور سعيد

ولم نلاق فى دخولنا الى تيرانا أى صعوبات .. لم يطلب منا أحد جواز السفر ، وشركة الطيران استجابت لطلبنا بالاقامة فى تيرانا ، بدلا من فندق على البحر يبعد عنها ٤٠ ميلا .

وللجمهورية العربية سفارة هناك . وهى الدولة العربية الوحيدة
التي تتبادل التمثيل مع ألبانيا ضمن ١٢ دولة فقط هى التي يوجد لها
ممثلون سياسيون فى تيرانا .

ولم يكن هناك أى مجال للسهر الا فى الفندق . بعد أن دعانا رئيس
اتحاد الصحافة الألبانى الى العشاء .. ومنه علمنا أن فيلمى جميلة
وبور سعيد قد عرضا هناك منذ شهور ..

وأمضينا ليلتنا فى غرفتين متصلتين لهما باب واحد وفى كل غرفة
سريران ..

وفى الصباح المبكر كنا فى الطريق الى المطار .. ولحظنا أن تيرانا
ربما كانت أكثر المدن ازدحاما بالجنود .. فهى تعيش دائما فى يقظة لأنها
ليست محاطة بالأصدقاء .. فهى لا تتبادل التمثيل السياسى مع اليونان
وهى فى خصام دائم مع يوغوسلافيا .

وعدنا من جديد الى قلعتنا الطائرة . وبعد ثلاث ساعات ونصف
ساعة كانت الطائرة تهبط بنا فى مطار موسكو .

ولفحة الهواء الباردة على وجهك والبرد الشديد الذى يتسرب الى
قدميك .. ينبئك بأنك تقبل على موسكو التى ارتد عنها هتلر ونازيون
.. عندما حارب البرد مع أهلها الغزاة الطامعين .

الحرارة أو البرودة على وجه الدقة كانت ٧ درجات تحت الصفر
.. وفوق المطار كانت تقف طائرات عديدة ، كلها قلاع جبارة . وأحدثها
الطائرة ت.و ١١٤ ، التى وصل بها خروشوف الى واشنطن قبل الموعد
المحدد لوصوله بخمس دقائق .

وهى طائرة تجمع بين المحركات العادية . والتوربينات النفثة ،
تقوم حاليا بالعمل على الخطوط الجوية بين موسكو وبكين .

مع الناس في موسكو

والأيام العشرة التي قضيناها في موسكو لاتعطي الانسان صورة كاملة عن حياة ٢٠٠ مليون يضمهم الاتحاد السوفييتي ، ولكنها تظهر بعض معالم الطريق في هذا المجتمع الجديد الذي ربط بين الأرض والقمر ..

ومع هذا فقد تركت هذه الأيام في النفس عدة انطباعات من الاتصال بالناس في الفندق والشارع والجامعة والمسرح والمصنع . ولعل أهم ما تحمله في النفس من ذكريات . هو روح الشعب السوفييتي الودية نحو الأجانب .. كل أجنبي في موسكو يلاقى الترحيب ويخلى له مكان الصدارة في الطوابير التي تتجمع في نظام دقيق أمام المحلات ومحطات الأوتوبيس .

الأجنبي في موسكو له تقدير خاص . لا يشعر به في معظم عواصم العالم .. والشعب السوفييتي يتحلى بالخصال الشرقية التي تجمع بين الكرم والاخلاص والشهامة .. ولعل الحوادث الصغيرة التالية يمكن أن تعطيك صورة من صور الحياة في موسكو .

في احتفالات ٧ نوفمبر ، يتوقف سير العربات ليلا في شوارع معينة ويتدفق الناس اليها سيرا على الأقدام . يرقصون ويغنون .. وفي شارع جوركي وهو من أهم شوارع العاصمة لاحظت أن نسبة الأطفال كبيرة . وانهم جميعا في ملابس جيدة وزاهية . وانهم محل رعاية وحنان الآباء والأمهات ..

والتقيت بوالد يحمل ابنه الصغير وهو يقبله في جبينه ويداعبه . في كل بضع خطوات .. وفكرت في أولادي بالقاهرة ، وسألت الرجل وأنا أداعب ابنه عن السبب الذي جعله يخرج به وحده في العيد .. وقال الرجل أن زوجته في العمل وتعود بعد ساعات ..

وعندما قلت له انى لاحظت حب الآباء للأبناء . وان موسكو يمكن
أن تعتبر جنة للأطفال قال الرجل وفي عينيه بريق :

— لقد قاسينا كثيرا فى الطفولة .. عندما كنت طفلا شعرت بالجوع
والبرد .. وعندما بلغت الخامسة والعشرين دخلت الحرب . وقضينا
أياما مريرة .. ونحن نود أن ينبت أطفالنا فى جو كله حب وسلام بعيدا
عن متاعب الحياة التى قاسينا منها كثيرا ..

وراقبت الرجل وهو يداعب ابنه ويقبله وينصرف .. انه يوفر لابنه
ما حرمة فى الصغر ..!

عندما طلبنا مقابلة البروفيسير الأكاديمى نسيميانوف رئيس أكاديمية
العلوم بالاتحاد السوفييتى . كان فى عمل هام خارج موسكو فى منطقة
لم نعرفها ، ولكننا فهمنا أنها تبعد عن موسكو مئات الأميال .

ومع ذلك حضر العالم الكبير فى موعده ، واستقبلنا فى تواضع
عظيم وأمضى معنا ساعات مضيئة .

وكذلك عندما طلب السيد صلاح مقابلة السيد محيى الدينوف
سكرتير اللجنة المركزية كان يمضى أجازته بعد الأعياد خارج موسكو .
ولكنه حضر .. رغم انه أبلغ بالموعد قبلها بساعات . واستقبل السيد
صلاح سأل فى مبنى الحزب . وكان خاليا الا منه ، وأبى الا أن يودعه
حتى الباب الخارجى ، رغم أن اللقاء كان فى الدور الرابع من المبنى .
وهكذا تشعر فى موسكو بالألفة والتواضع .

مع العالم الذى أطلق محطة الفضاء !

قابلت اليوم الرجل الذى أطلق الصواريخ والأقمار الصناعية ..
الذى اقتحم الفضاء ، وحرك محطة تدور حول القمر وترسل الى
الأرض الصور ..

قابلت العالم سيميyanوف ، رئيس أكاديمية العلوم فى الاتحاد
السوفييتى .

توجهت اليه وأنا أشعر بالخجل لأننا انتزعناه من عمله خارج
موسكو ، وحضر خصيصا لهذه المقابلة .. مقابلة صحفيين من الجمهورية
العربية المتحدة .

ولكن ما أن التقيت به ، حتى أخذتني نظراته الحانية ، من عينيه
الخضراوين الصافيتين .. ولم أشعر أنى أقف أمام عالم من أكبر علماء
العالم ، الأفكار التى تدور فى رأسه تحرك العالم وتكتب التاريخ .

نسيت كل شئ بين يديه ، ارتددت تلميذا صغيرا ، أرجو أن يلتقط
من فهم أستاذه كلمات درس سوف يلقيه .. محاذرا أن تفوتنى كلمة
مما ينطق به .

وتلفت أسترى النظر فى سرعة الى غرفة المكتب حيث يعمل هذا
العالم الذى يرأس أكاديمية العلوم الرئيسية فى الاتحاد السوفييتى ،
والتي يبلغ عدد أعضائها ٥٠٠ عضو ، منهم ١٥٠ عضوا دائما و ٢٥٠
عضوا منتسبا (وجميعهم منتخبون) .. والتي تعتبر الأكاديمية الأم
بالنسبة لأكاديميات العلوم فى كل جمهوريات الاتحاد ..

غرفة المكتب صغيرة وليست متسعة أثاثها نظيف من النوع القديم

.. يطالعك على يسارك تمثال كبير نصفى للينين وهو يضحك مقهقهة..
وأمامك صورة لستالين وهو يكتب ، وعلى الحائط تنتشر صور العلماء
الروس الراحلين ..

وعلى المكتب ثلاث كرات أرضية من النحاس اثنتان يحملهما أربعة
رجال ، وواحدة يحملها نسر كبير وأمام المكتب مائدة للاجتماعات
وضع عليها العالم فاكهة وحلوى وبسكويت وأقداحا للشاي .

وجلسنا حول المائدة .. ونظرات العالم الحانية لاستقر على شيء
أنها دائما معلقة بالفضاء خارج النافذة أو مرتفعة الى سقف الغرفة ..
عيناه الخضراوان فيهما صفاء ، وجهه ينطق بالسماحة وهو أصلع تنسدل
بعض الشعرات على رأسه وجبهته يلبس بدلة من صوف جيد ، وفي
جيبه الأمامى قلم حبر .

وبدأ العالم حديثه في صوت هادىء عميق ، قال انه يسعده وهو
عالم الكيمياء أن يلتقى للمرة الأولى بأبناء البلد الذى كان علماؤه أول
من عرف الكيمياء في عهد الفراعنة .

اذا استمع لكلمات المترجم له هز رأسه هزات متتالية واذا سمع
كلمة مدح ابتسم في خجل وتصاعدت الى وجهه الدماء .. وهو ينقر
بأصابعه على المائدة في نغمات منتظمة تنقطع فجأة .. أو تسرع .. لاشك
أنها تتأثر بما يدور في رأسه من أفكار والمترجم يؤدي واجبه بترجمة
أقواله لنا .

انه يبدو كمن يسبح في الفضاء ولكنه دائما يصل ما انقطع من
حديث في ترتيب ونظام ودقة اعتادها من تفكيره العلمى المنظم وهو
يشرح لنا مشاكل الأكاديمية في الطبيعة والكيمياء وعلم الحيوان
والنبات والفلك .

يشرح أعقد النظريات العلمية في بساطة وسلاسة .. وهو دائما يردد في تواضع أنهم مازالوا بعد كل هذه الانتصارات في الخطوة الأولى نحو النجاح .. وكل معرفتهم اليوم لا تمثل الا نسبة مئوية بسيطة مما يجب أن يعرف عن هذا الكون الكبير .

ساعة كاملة وسيميانوف يتحدث بلا توقف ، يلتقط حبات العنب تبقى الواحدة في يديه حتى يكاد ينساها ثم ينتبه اليها فيدفعها الى فمه .. وهكذا المشاكل يلتقطها واحدة بعد الأخرى يشرحها ثم ينثنى الى غيرها .

وعندما انتهى من حديثه ، قال انه عبر مشاكل العلم بأسرع من سرعة الصاروخ الأخير الذي حمل محطة الفضاء !!

وعقد العالم يديه على صدره وهو وضع استقر عليه في معظم جلسته وسمح لنا بالأسئلة .

وعندما سأله هل يستطيع الانسان أن يعيش في القمر .

ضحك ضحكة وديعة وقال (الأمر الذي لا شك فيه أن الانسان سوف يصل القمر ، ولكن حياته هناك تعتبر عملية صناعية معقدة اذ لا أوكسجين هناك ولا طعام) ١.

وانتقلت الى الكواكب الأخرى بعد أن عبرنا القمر ، أسأله هل توجد مياه على الكواكب الأخرى ؟

واستمرت ابتسامته الوديعة وهو يقول انه لا توجد حتى الآن معلومات مؤكدة عن حياة حقيقية فوق الكواكب .. ولكن الشيء المؤكد أن الأرض ليست هي الاستثناء الوحيد في الكون الذي يعرف الحياة وأكثر الكواكب احتمالا لأن تكون فيه حياة هما .. المريخ والزهرة .

وعدت الى الأرض أسأله عن تأثير العلم وانفجارات الذرة في تقلبات الجو .. وكان جوابه قاطعا بأن الانفجارات الذرية تملأ الجو بغيبار

قاتل وأن لديهم تجارب تتيح لهم اسقاط المطر وأنهم يعملون على تحقيق فكرة رفع الضباب عن سطح الأرض الأمر الذى يعطل الطيران المدنى كثيرا .. وتجارب التأثير على الجو مازالت بعد فى مراحلها الأولى .

وانتقلت الى الاقليم المصرى أسأله هل من سبيل الى رى الصحراء بمياه أمطار ننتجها من البحر الأبيض المتوسط ؟.

وهنا قال العالم الكبير أن هذه مسألة اقتصادية ، لأنه من الوجهة العلمية ممكنة ، حيث أن الصحراء تحمل طاقة حرارية ضخمة من الشمس يمكنها أن تساعد فى تبخر الماء .. ولكن المعول هنا ليست أفكار العلماء ولكن موازنة علماء الاقتصاد بين تكاليف المشروع وبين فوائده وثمرته . . .

وقلت له اذن كم تصرفون على أبحاثكم العلمية ؟ وقال العالم الذى يعرف كل شىء عن الأرقام . ميزانية الأبحاث العلمية للاتحاد السوفيتى ٢٢ ألف مليون روبل ، وهى للأكاديمية فى موسكو فقط ألفا مليون روبل .

ولما كان الناس فى أنحاء العالم لا يعرفون حتى اليوم فى وضوح اسم العالم الذى يرتبط اطلاق الصواريخ الى القمر باسمه مثل ارتباط اسم ماركونى بالراديو وأديسون بالكهرباء .

فقد طلبت منه أن يذكر لى ذلك الاسم حتى يسجل التاريخ ذلك . ولكن العالم الكبير أجاب بضحكة هادئة ، وقال ان الاكتشافات العلمية اليوم لاتعتمد على فرد واحد ، فهى عملية معقدة وما زال لدى التاريخ وقت طويل لكى يعرف أسماء المخترعين لهذه الانتصارات العلمية .

ووجدت أن ساعة ونصف ساعة قد ضاعت فى هذا اللقاء الذى حضره سيميائوف من أجله الى موسكو وسيعود بعده الى منطقة أجهلها ويجرى فيها تجاربه .

وغادرت مكتبه وما زالت تطالعني نظرتة الحانية من عينيه
الخضراوين الصافيتين .

من تيرانا .

* عندما تخلفت الطائرة في تيرانا لسوء الأحوال الجوية كانت هي
الطائرة الوحيدة في المطار .

* سكان ألبانيا مليون ونصف يقيم منهم في تيرانا حوالي
٣٠٠ ألف .

* تيرانا بلد صغير فيه شارع واحد رئيسي تقع فيه مباني الحكومة
والجامعة والفندق والمحل التجارى الكبير .

* ألبانيا كانت تستورد كل شيء حتى الصابون .. لم تكن تنتج
سوى الدخان .. ولكنها اليوم تنتج الملابس والأحذية وبعض الكماليات.
الأصناف ليست في مستوى مرتفع .

* تيرانا أبرد من موسكو .. الفنادق لا توجد فيها تدفئة والبرد
في الليل ينفذ الى العظام .

* سعر الطائرة من القاهرة الى تيرانا ذهابا وإيابا ٢٤ جنيها ..
وسعرها من تيرانا الى بلغراد ٣٥ جنيها . المسافة بين تيرانا وبلغراد ثلث
المسافة بينها وبين القاهرة .. ولكن العلاقات السياسية بينهما متنافرة.

* الجمهورية العربية المتحدة هي الدولة العربية الوحيدة التي
تتبادل التمثيل السياسى مع ألبانيا .. مجموع الدول التى لها تمثيل
سياسى هناك ١٢ دولة فقط .

في موسكو

- * الناس هنا يضحكون على النكتة التي أطلقها خروشوف على تركيا في خطبته أمام مجلس السوفيت الأعلى .
- قال انها تشترك في الناتو « حلف شمال الأطلسي » وفي الساتو .. « حلف بغداد سابقا » .. وأنها على استعداد لو أخذت دولارات أن تشترك في أي « أتون » آخر !..
- * تستطيع أن تلمح في شوارع موسكو بعض الذين يقلدون جيمس دين ولكنك لن تجد فتيات يقلدن بريجيت باردو .
- * منظمات الشباب تقاوم هذا الاتجاه بالثقافة ، ويتمزيق بنطلونات الشباب الرقيق ، كما يسمونهم .
- * السائق الذي يدوس حماسة في الشارع يدفع غرامة قدرها ٢٥ روبل .. الحمام ينطلق في معظم الشوارع يلقي له الناس الطعام .
- * الطائرة ت.ي. ١٠٤ التي أقلتنا من القاهرة كانت تسير بسرعة ٩٠٠ كيلو في الساعة على ارتفاع ٩ كيلو متر من سطح الأرض .. درجة الحرارة خارج الطائرة كانت ٤٥ درجة تحت الصفر !.
- * في استعراض الجيش والشعب في الساحة الحمراء يوم ٧ نوفمبر تقام منصات جاهزة من الحديد تفك وتركب كل عام .. أليس هذا أوفر وأسهل من منصات الخشب التي تتكلف كثيرا وتبنى وتهدم .
- * تنتشر اليوم في موسكو عادة اعطاء البقشيش .. السبب هو كثرة السياح .

من موسكو

- ١ - كيف يقاوم المسئولون عادة الادمان على شرب الخمر ، التي أخذت تتفشى بين الناس بشكل ملحوظ ؟

- لا يعطى الفرد أكثر من ١٠٠ جرام يتناولها مع الطعام .
- كل سائق يرتكب حادثة ويثبت من رائحة فمه أو تحليل دمه أنه تناول خمرا .. تسحب رخصته حتى اذا لم يكن هو المسئول عن الحادث .
- كل من يزعم أحدا وهو مخمور يأخذه البوليس فورا الى القسم حيث يمضى ليلته .
- كل موظف يضبط مخمورا ، تعلق فوق رأسه لافتة توضح ذلك للجمهور .
- ومع هذا لاحظت أثناء اقامتى هناك أكثر من حالة سكر شديد .
- ٢ — الطائرات فى مطار موسكو لا تطير الا اذا كانت الأحوال الجوية مناسبة ١٠٠٪/ يتسبب هذا فى تأخير الكثيرين ولكن الحوادث قليلة نسبيا .
- ٣ — الطالب العربى فى جامعة موسكو يتناول ١٥٠٠ روبل ، والطالب الروسى ٣٠٠ روبل .. الجنيه ٢٨٨ روبل .
- ٤ — فى جامعة موسكو طالب أمريكى يأخذ منحة شخصية اضافية قدرها ٧٠٠ روبل شهريا لأنه استطاع أن يفك رموز لغة احدى قبائل الهنود الحمر .
- ٥ — يتحول شارع جوركى من أكبر شوارع موسكو الى مكان لسير المشاة فقط أثناء احتفالات ٧ نوفمبر .. بمنع سير العربات .
- ٦ — فى جريدة البرافدا يوجد ٥٠ محررا فى باب مع القراء .. يتلقى الباب يوميا حوالى ١٠٠٠ خطاب .. الخطابات المهمة تنشر ، والى التى تحتاج الى بحث يتابعها المحررون .
- ٧ — فى مكتب نائب رئيس تحرير البرافدا اطار مستطيل يضم ٨ ساعات .. كل ساعة تتوقف عندما ينتهى طبع الصفحة التى تدل عليها ١٠

برن

المدينة التى ينتشر فيها الهبوط والصداع ..
وتتردد الشكوى على كل لسان .. المدينة التى حملت
من الماضى ضيق الشوارع وكآبة المباني والبواكى ..
المدينة التى يسكنها ٢٠٠ر٠٠ ألف نصفهم من
الديبلوماسيين من مختلف البلاد .

هذه المدينة الكثيرة الحزينة هى عاصمة الدولة
التي تنعم بفتنة الطبيعة والجمال .. برن عاصمة
سويسرا مدينة تستحق ألف سؤال .

مدينة صغيرة تلفها سيرا على الأقدام .. تهب
عليها رياح الغون مرة كل عدة أيام تحمل الى الناس
الصداع والهبوط وضيق التنفس .

كل قادم اليها يشكو وكل مقيم يضجر ويصبر ..
مدينة خائقة لا توجد فيها مسارح ولا كباريهات
وبها ثلاث دور للسينما .. وفى منتصف الليل تطفأ
الأنوار فى كل المحلات وتغلق الأبواب ويذهب الناس
الى الفراش بأمر البوليس .. حتى ولو كانت الليلة
من ليالى الصيف أو الربيع .

ليلة واحدة هى التى يصرح فيها بالسهرة بعد

منتصف الليل .. ليلة الأحد يفرج فيها عن الناس ، يستطيعون أن يسهروا حتى الواحدة والنصف .. ولا دقيقة بعد ذلك والا فان البوليس يرقب كل مكان .

والبوليس في برن نشيط نشاطا يثير التساؤل .. ولكنهم يقولون انه يتبع أفضل أنظمة البوليس في العالم . لأنه يرمى حياد الدولة الصغيرة التي لم تعرف الحرب مع أنها تستطيع تعبئة ما يزيد عن نصف مليون في ٢٤ ساعة تعبئة كاملة بالسلاح والذخيرة .. رغم أن المحترفين الذين يعتمد عليهم الجيش في التدريب لايزيدون عن عدة مئات هم نواة الجيش الحية .

واذا مررت في شوارع برن تذكرت فورا بواكى شارع محمد علي .. ولكن المباني هنا قائمة جامدة حتى ليخيل اليك أنها ستطبق على أنفاسك ..

وفي كل سبت وثلاثاء ينتشر في المدينة سوق مثل أسواق قرانا .. السيدات يحملن من الريف كل المنتجات .. الجبن والزبد والخضروات والنسيج والطيور والأرانب .. وسوق السبت والثلاثاء محترم جدا عند البوليس . يعلق له شوارع كاملة لا يصرح فيها بمرور العربات ، ويقبل الناس على الشراء بطريقة تعيد الى الذكريات سوق بلدنا التوفيقية يوم الثلاثاء أيضا .. فصال وزعيق وشجار وبيع وشراء .. كل شيء مفروش على الأرض .

وليالى برن تثير الحسرة .. دور السينما تنهى آخر حفلاتها في العاشرة والنصف كل الأيام . أجمل سهرة تمضيها هناك في بار صغير ينتشر مثله عشرات في مدن سويسرا الأخرى ، وبه رجل يعزف على البيانو عزفا متصلا لمدة ساعات حتى انه ليخلط في عزفه بين مختلف الألحان .. كل من في البار يعيش مع كأسه لينسيه حاضره ويحمله في الخيال الى نبع ذكرياته ، وموطن الحب والجمال .. وغير هذا البار لن

تجد مكانا تسهر فيه الا في الفنادق ، وهى جميعا قديمة تعامل الزبائن بطريقة تجعلهم بقسمون الا يعودوا من جديد .

نسيت شيئا .. هناك ناد للقمار .. نعم للقمار اسمه الكورسال ولكن من حق كل زوجة أن تمنع زوجها عن اللعب اذا أبلغت البوليس وقالت أنه يصرف مصاريف البيت والأولاد على القمار .. حينئذ يتدخل البوليس ويمنع الزوج من اللعب .

شاهدت رجلا يجلس على الباب وكأنه ينصت لما يدور فى الداخل .. وأبلغنى صديقى المستشار الثقافى هناك أنه ممنوع من الدخول بأمر البوليس .. الزوجة قدمت ضده شكوى .

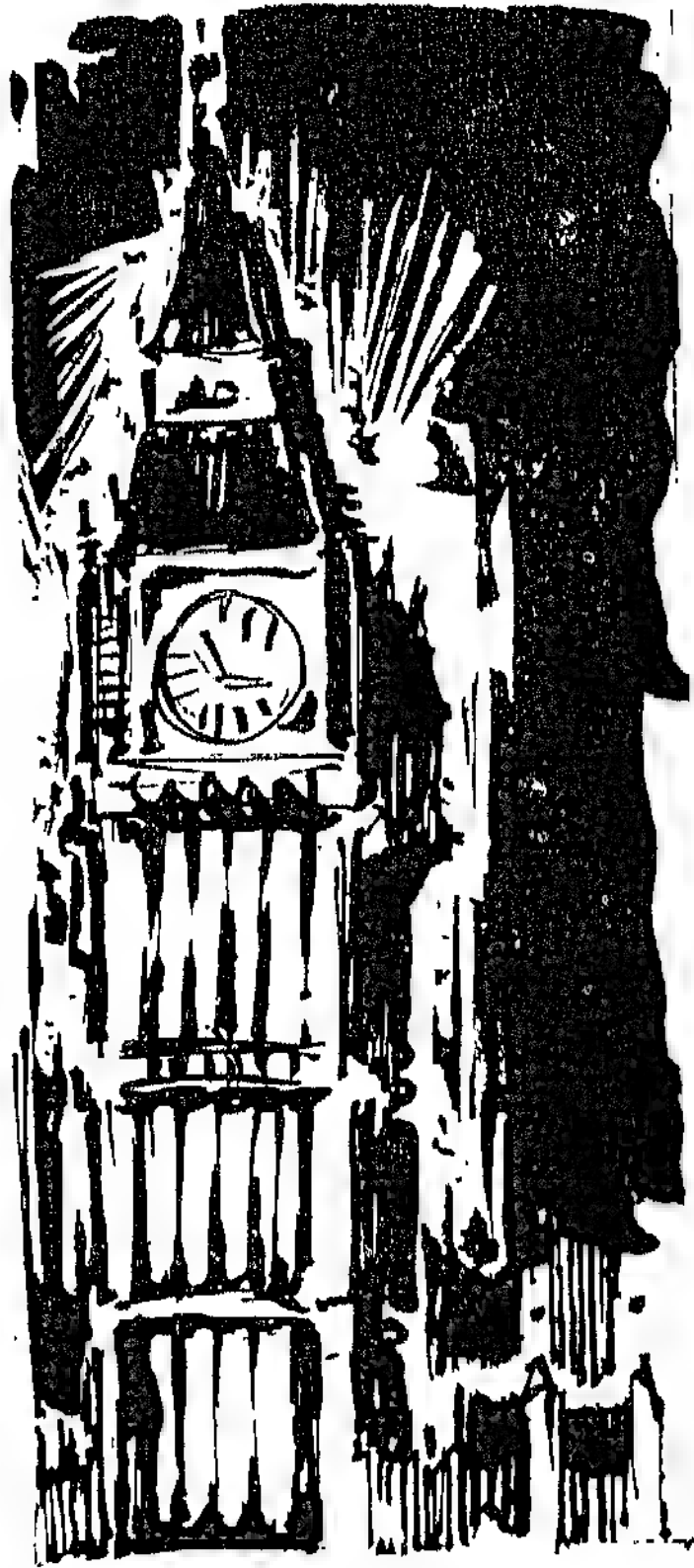
وهكذا تسعد الزوجات فى برن لأنه لا سبيل الى بعد الرجال .. فهى جنة اذا كانت الزوجة ترى فى بقاء زوجها بجانبها دائما سعادتها المتصلة ونعيمها المقيم .

ما رأى الزوجات فى برن ؟

هل يسعدن بهذا النظام ؟ وينعمن بهذه الحياة الخاملة ؟

لا أظن ، فكل من قابلت فى برن يشكو .. سواء من السيدات أو الرجال الذين غادروا مدنهم فى مختلف دول العالم وحضروا الى هذه المدينة الشاذة فى بلد جميل .

هذه هى برن مقر عذاب الدبلوماسيين .. المدينة التى تغادرها وكأنك تخرج من سجن ضيق وتخلع ثوبا من الفولاذ ، لتستقبل الفضاء الرحيب والطبيعة الفاتنة فى سويسرا أجمل البلاد .



لندن

برتراند راسل يجلس مع الآلاف • • على الأرض

أكتب هذه الكلمات من طائرة مغربية نقائة ترتفع
في الجو ثمانية كيلو مترات ، وتطير بسرعة ستمائة
كيلو في الساعة وتنساب فيها نغمات موسيقى حاملة .
كل شيء هادىء في الطائرة ، لا هزات ولا
ضجيج • • والمضيئة الحسناء تقدم القهوة تسبقها
ابتسامتها الفاتنة • • وضوء الشمس يدخل من النافذة
يضىء الورق ويرسم الظلال للقلم .

صوت القائد أعلن منذ لحظات أننا نظير فوق
مدريد • • الجبال قممها حمراء وأرض الأندلس
خضراء • • والمدن والقرى تبدو صغيرة متناثرة • •
تصلها الطرق والوديان والأنهار • • لا شيء يحجب
النظر • • لا ضباب ولا سحب .

أغراني هذا الجو الهادىء بالكتابة • • فانه لا
يتوفر للانسان الا في غرفة مكتب أعدها بنفسه • •
يشرف منها على منظر جميل ويسمع موسيقى هادئة ،
واذا طلب شيئا كان بين يديه في لحظات .

وحملت القلم وأنا أمضى بأفكارى مع الطريق
الشاق الطويل ، الذى مضى فيه الانسان منذ كان

عاريا يحمل العصا ، يقاوم قسوة الطبيعة ، ويدافع عن نفسه أمام
الحيوان وأعدائه من البشر .. وحتى وصل الى هذه المرحلة التي يسيطر
فيها على الجو ، ويخترق الفضاء ويعلن عن موعد وصوله الى القمر ..
ويسمح لي بالكتابة في هدوء وأنا معلق بين الأرض والسماء .

أى طريق طويل ملئ بالتضحيات .. المارك فيه تهدأ .. والنضال
لا يخمد ، والانسان فى النهاية ينتصر .

ولن أدع أفكارى تعود الى الماضى ، تجتر اللحظات الباهرة فى
تاريخ الانسان .. ولن أترك قلمي يسجل كل ما ينبض له قلبى فى حياة
البشر .. فانى أختزن ذلك الى مجالات أوسع للكتابة ، وبعد فانى منذ
أسابيع وأنا بعيد عن القاهرة ، ألتقى كل يوم مع شىء يستحق التسجيل
.. وأنا اللحظة فى طريقى الى الدار البيضاء ، بعد زيارة لندن وباريس .

طابع لنسدن

ولندن عاصمة تكاد تختلف عن معظم عواصم الدول الأوروبية ..
يظهر فيها واضحا أثر التقدم الصناعى .. الذى سبقت به انجلترا دول
العالم بمئات السنين .. وهذا ما يجعلها تتمسك بالماضى ، وتتشبث
بالتقاليد ، وتعيش فى أحلام الامبراطورية .

ولكن هذه الأحلام لم تستغرق الناس ، ولم يؤد زوال الاستعمار
وتحلل الامبراطورية الى ضياع انجلترا .. فان الأموال تتكدس فى
البنوك ملايين فوق ملايين باسم التجار والمحتكرين ، الذين كانت تنمو
تجارتهم بالدمار ، وتزدهر بالارهاب .

واليوم وبعد أن أصبحت حرب الأفيون فى الصين ، وتجارة الملح
فى الهند ، ومذبحة دنشواى فى مصر ، واستعباد الرجل الأسود فى
أفريقيا .. أصبحت كلها ذكريات يرويها التاريخ .. بدأت انجلترا تدخل

مرحلة جديدة في حياتها ، تعتمد على خبرة الماضى . وصناعة عريقة وشعب متقدم .. ولو أن ذنبها الاستعمارى ما زال يتحرك حركته الأخيرة فى بعض الدول الا أن المصير معروف .. حرية كل الدول الصغيرة .. ومنافسة سليمة بين الدول الكبيرة فى ظل سلام تؤمن به شعوب العالم ، وتسعى من أجله .

وانجلترا تندفع فى ذلك السبيل ، تطور صناعتها ، وتتاجر مع كل الدول حتى الصين .. وصحف بريطانيا تشيد هذه الأيام ، بمعرض تجارى أقامته فى موسكو ، وحضره خروشوف فى اللحظة الأخيرة يوم الافتتاح .. وهى تستعيد أنفاسها أسرع من غيرها من الدول ، وتمتلئ محلاتها بالبضائع الانتاجية والاستهلاكية ، والقوة الشرائية ترتفع يوما بعد يوم .. وهذا ما يؤكد تماما أن الاستعمار ليس فى صالح الشعوب ، ولكنه فى صالح أفراد من الاحتكاريين الجشعين .

ولندن تضم أكثر من عشرة ملايين ساكن .. تتركب فيها الأوتوبيس - وكلها من طابقين - أكثر من ساعة ، ثم تنزل فى منطقة أكثر ازدحاما يقسمها نهر التايمز قسمين .. الغرب وهو أكثر رقيا .. يضم السفارات والمناطق التجارية والبنوك والأحياء النظيفة .. والشرق وهو يزخر بالمناطق العمالية والأحياء المتواضعة .. وفى كل لندن تتناثر المسارح كالأضواء اللامعة ولكن لن تجد فى هذه المدينة الكبيرة مثل المقاهى المفتوحة التى تراها فى باريس وروما وأثينا ومديرد وبرلين .

نظام المقاهى والمطاعم يختلف عن دول أوروبا .. تصاريح الخمر لا تمنح أبدا للمحال التى تقدم وجبات سريعة مع القهوة والشاى والمثلجات والعصير .. والبارات لا تقدم الطعام وهى تغلق أبوابها فى الحادية عشرة مساء لا تتأخر .. ويوم الأحد تغلق فى العاشرة .. والمطاعم أيضا تتبع هذه المواعيد .

والمدينة الكبيرة تصبح كالمهجورة يوم الأحد من كل أسبوع ..
شوارع المحلات التجارية تخلو من المارة .. ودور السينما تقدم حفلة
واحدة .. والمسارح جميعها تغلق أبوابها .. ويفضل الناس البقاء في
بيوتهم أو مغادرة المدينة الى الضواحي اذا كان الجو مناسباً .. وكثير
من المصالح الحكومية والشركات ، تمنح العاملين فيها أجازات يومى
السبت والأحد من كل أسبوع .. ويصعب عليك أن تجد مكانا للسهر
الا في المنطقة التى تضم الملاهى في بيكاديللى وليستر وسوهد .. وهى
الملاهى الرخيصة التى يقبل عليها السياح في كل بلد ..

وقد صدر في لندن أخيرا قانون يمنع فتيات الليل من التسكع في
الشوارع ، وعرض أجسادهن على المارة .. وهكذا اختفى هذا اللون
من الفتيات ، الذى يطفح على وجه المدن الكبيرة كالشور ، ويظهر في
داخلها عيوباً اجتماعية ، وفروقا طبقية ، تؤدى في النهاية الى بيع
الأجساد وممارسة البغاء ، وخلت الشوارع في هايدبارك من هؤلاء
الحائرات ..

ولكن هذا لايعنى أن لندن أصبحت مدينة الفضيحة ، فان كل شيء
فيها يدور خلف الجدران المغلقة ، مثل طبيعتها المتحفظة الساكنة - وعلب
الليل فيها منتشرة .. وهى غالبا ما تكون في بدرومات تحت الأرض ،
وهو طابع سائد في البناء ..

وتتميز لندن بنوع من الفنادق لا تجده في الدول الأخرى .. بيوت
غرفها مفروشة ، يحتفظ الساكن بمفتاح المنزل ومفتاح الغرفة .. ولا يلتقى
بأحد الا وقت الفطور .. الذى يتميز أيضا بدسامته الواضحة .

وأكثر ما يلفت النظر في لندن محلاتها التجارية التى تنتشر في كل
أحياء المدينة . والتى تقدم منتجات وافرة يقبل عليها الناس اقبالا شديداً ،
لانهخفاض أسعارها .

وأنت تستطيع في لندن أن تلمح أثر القنابل النازية عليها .. العمارات الحديثة الشاهقة تدل على أنها تنهض مكان منازل مهدامة .. وما زالت توجد بعض المناطق تحاط بالاعلانات ولم تبعد منذ هدمت في الحرب العالمية الثانية ..

والناس في لندن يتجهون الى مقاومة التفجيرات الذرية ، ومعاداة الروح العدوانية ، والعمل من أجل السلام .. والفيلسوف البريطاني الكبير برتراند راسل يجلس مع الآلاف على الأرض أمام وزارة الدفاع أو في ميدان الطرف الأغر « ترافلجار » حيث يعلنون في صمت احتجاجهم الصارخ على بعض اتجاهات الحكومة من ناحية الانفجارات الذرية . ويستجيب معظم الناس الى هذه الحركة السلمية .. ويقلدون برتراند راسل بفيض من الحب والاعجاب والتقدير .. وهو الرجل الذي أشرف على الثمانين ، وما زال يدافع في اصرار عن الحياة بكل ما فيها من صفاء وجمال .

من لندن

✽ مطار لندن ينقسم الى قسمين . قسم لطائرات الشركات البريطانية والكومنولث ، وقسم لطائرات الشركات العالمية .

وقسم الشركات البريطانية ينقسم أيضا الى قسمين .. قسم لأبناء إنجلترا وإيرلندا والكومنولث .. وقسم لأبناء الدول الأخرى ..!

كنت الوحيد من أبناء الدول الأخرى على الطائرة .. ولكن لم أخرج من المطار مباشرة .. الركاب جميعا يدخلون الى صالون ويجلسون على الكراسي ، لا يتحدث اليهم أحد لمدة ربع ساعة .. ثم يتلقون التعليمات بعد أن يسودهم الهدوء وتضييع من آذانهم ضجة الطائرة ، ويدخسون سيجارة .

وكان هذا أول انطباع لى عن هدوء لندن بعد صمت باريس .

* أول صدمة تلقيتها فى لندن .. هى المباراة الدولية فى كرة القدم بين بريطانيا والمكسيك يوم الخميس ثم نهائى بطولة انجلترا فى الريحبى يوم الجمعة ، ثم عطلة نهاية الأسبوع يومى السبت والأحد .. وازدحام لندن بالملايين ..

جميع فنادق لندن لا توجد بها غرفة واحدة خالية .. وأنا أحمل حقائبى وأدور عليها باحثا عن غرفة خالية لمدة ليلة واحدة !..

* لا تغضبوا عند مشاهدة القرداتى فى شوارع القاهرة .. فقد شاهدت فى ييكادللى وهو من أهم شوارع لندن الى درجة - انهم يرفضون اطلاق اسم شارع عليه ، ويكتفون باسمه فقط حتى فى اللوحات .

أقول شاهدت فى ييكادللى رجلا عارى الصدر يحيط نفسه بالسلاسل ، يحاول فكها بعضلاته .. ورجلين وآمرأة فى ملابس البهلوانات يلعبون فى الشوارع بملابسهم المخططة التى تشبه الحمار الوحشى .

البوليس لا يتعرض لهم .. والعربات تتفاداهم ، ومئات الناس يقفون فى هدوء على الأرصفة ، يتفرجون ويدفعون لهم بعض البنسات .

* والهدوء أيضا يغلف طباع رجل البوليس البريطانى .. روى لى الصديق على خشبة قنصلنا العام السابق فى لندن ، انه شاهد اثنين يتشاجران شجارا عنيفا وخلفهما يسير رجل البوليس ، وكأن الأمر لا يعنيه .

ودفعه الفضول الى سؤال رجل البوليس ، وجاءه الجواب هادئا :

— ان أحدا لم يستنجد بى حتى أتدخل !..



• • • • •

اسيانا

مذبحة الثيران

يقولون ان الذي يزور اسبانيا ولا يشاهد
مصارعة الثيران .. يعتبر كأنه لم يزرها .

ولذا فقد حرصت على الذهاب الى حلبة المصارعة
.. انها تشبه أستاذنا صغيرا بنى على طراز أندلسي ..
والزحام حولها يبلغ ذروته ، والناس يتدافعون
للدخول ، تسبقهم مناقشاتهم الحادة باللغة الاسبانية
التي يندر أن تسمع غيرها طالما أنت فوق أرض
اسبانيا .. فالناس لا يعرفون سواها ولا يتكلمون
الانجليزية أو الفرنسية الا نادرا .

وصور المصارعين تباع على الأبواب مع تاريخ
حياتهم .. وتؤجر لك أيضا وسائد من الجاد تجلس
عليها فوق الأرض الحجرية .

الحلبة من الداخل مستديرة وحولها القاعد ترتفع
الى ما يزيد عن سبعين صفا .. وفي المواجهة بنوار
عريض مرتفع يجلس فيه السادة المحكمون .. وأمامهم
في الناحية الأخرى يجلس بعض الموسيقيين الذين
يرتفع صوت أبواقهم عند ما يتلقون الإشارة من
الحكام .. وهي تكون بالتلويح بمناديل بيضاء ..

واصوات الأبواق هي التي تحدد مراحل المصارعة المختلفة .

وقد ذهبت الى الحلبة .. وكل معلوماتي هي المشاهدة ، التي رأيته
على شاشة السينما في بعض الأفلام .. عندما يلتقي الرجل مع الثور وجها
لوجه وتتم بينهما المصارعة .

ولكن .. ماذا أرى ؟

شبهًا مختلفًا تمامًا عما تخيلته .. المصارعة تقسم الى ثلاث مراحل .
المرحلة الأولى الهدف منها اجهاد الثور .. انه ينطلق بكل قوته
وشبابه الى الحلقة ، فيقابه المصارع ، ويحاول هذا أن يتفاداه بحركة
خفيفة بارعة .. واذا ضيق عليه الثور الخناق .. هرب الرجل واختفى خلف
السور .

وهكذا حتى يجهد الثور أمام ستة رجال .

ثم يرفع المحكمون منديلًا أبيض . وينفخ في الأبواق ويدخل
« البيكادور » وهما رجلان يركبان حصانين مدرعين وفي يدهما حربتان
طويلتان .. وواجب البيكادور أن يغرس حربته في جسم الثور ويديرها
فيه حتى تنزف من جسمه الدماء في غزارة .

ومن جديد يرتفع المنديل الأبيض . وتنفخ الأبواق .. وتبدأ مرحلة
جديدة من مراحل التعذيب ثلاثة رجال كل منهم يمسك في يده حربتين
ويواجه الثور ثم يغرزهما في جسمه ويفر هاربا .. ويتفصد الدم من
الثور ، ويتحرك هائجا وفي جسمه ترتفع الحراة .

وبعد هذا الاجهاد الطويل ، والتعذيب المرير .. يخرج الجميع من
الحلبة ويدخل « الماتادور » أي المصارع .. وهو غالبا شاب صغير ..
ويقابله الناس بالتهليل والتهتاف .. وكأنه يجابه ثورا حقيقيا ، لا ثورا
أثخته الجراح وغرست فيه الحراة .

وينحنى الشاب لأعضاء لجنة التحكيم ثم يلقي قبعته على الأرض ،
أو يلقي بها الى احدى السيدات .

وتبدأ المصارعة .. الثور مجهد والشاب فى قمة النشاط .. وكما
تخلى الشاب عن قرون الثور بحركة بارعة ، ضج الناس بالهتاف :
« هويله .. هويله » .

وفى المرحلة الأولى شعرت بالمرارة من التعذيب الذى يتعرض له
الثور .. انه عمل غير انسانى ان يجتمع الألوف ليشهدوا ثورا يذبح على
عدة مراحل .

وفى هذه المرحلة الأخيرة داخلنى الاشفاق والحزن على هذه الثيران
التي سمعت بعضها ينوح من العذاب .. وكأنه يطلب التخلّى عن هذه
المصارعة غير المتكافئة .. ولكن الثور يجب أن يموت حتى يسعد
الناس .

والماتادور يحمل فى يده مع الستارة الحمراء سيفاً حاداً ، ينتهز
الفرصة المناسبة ليوجهه فى طعنة قاتلة الى الثور الذى يتهالك على
الأرض ، وهو ينفذ رجليه ، وينظر الى الناس بعينين فيهما نظرة حزن
وضعف .. حتى يموت ، وتدخل الخيل وتجره الى الخارج جثة هامدة
وهو الذى كان يتفجر منذ لحظات بالقوة والحيوية والشباب .

وينتظر الماتادور رأى المحكمين .. اما أن يسمحوا له بالدوران حول
الحلقة لتحية الجماهير اذا كان قد أجاد .. أو يسمحون له بتحية الجماهير
من مكانه .. أو لا يسمحوا له اطلاقاً بالظهور أمامهم .

وهناك جوائز معنوية للمصارعين .. أحسنهم يمنح رجل ثور والذى
يليه يمنح ذيل الثور ، ثم الأذنين أو أذنا واحدة .. وكثير من المصارعين

لا يمنحون شيئاً .. وخاصة هؤلاء الذين يوجهون طعنة السيف الى الثور
ثم لا يموت ويأخذون سيفاً ثانياً وثالثاً وهكذا حتى يموت الثور .

الغرض اذن .. هو قتل الثور بأي سبيل .. وكلمة مصارعة لا تنطبق
أبداً على هذا التعذيب المريع والقتل البطيء والمشاهد الدموية العنيفة
.. التي لا تتفق أبداً مع الانسانية .

وخرجت من حلبة المصارعة وأنا في دهشة من اهتمام اسبانيا بهذه
المذابح .. وهو الشعب الفنان الراقص .. الذي يطرب من الموسيقى
والغناء .. ويسهر حتى الصباح كل يوم يمارس حياته الفنية في انطلاق
لا تلمسه في كثير من الشعوب .

ولم أجد لسؤالى جواباً . الا أن تكون هناك رغبات مكبوتة عند
بعض الناس تنطلق في هذه الحلبة الذي يذبح فيها ستة ثيران في كل يوم
من أيام مذبحة الثيران .

مدريد لا تنام . . . !

الساعة الآن في مدريد الثالثة والنصف بعد منتصف الليل .. ومع هذا فالنوم لا يطرق جفونى وأنا لا أفكر فى الرجوع الى الفندق .. الحياة من حولى تضج بالأنوار والصخب والمرح !..

شارع جران بيا يزدحم بالناس وهم يتنزهون فى هدوء كما تفعل على شاطئ النيل بعد الغروب .. الوقت لا يبدو عندهم متأخرا والليل طويل .

مدريد لا تنام .. لا أحد يأوى الى الفراش قبل أن ينتصف الليل .. حفلات السبواريه فى السينما تبدأ فى الحادية عشرة .. الرقص فى الكباريهات يعرض فى الواحدة بعد منتصف الليل .

ونحن الآن فى الثالثة والنصف ... ولن تعرف الوقت أبدا من الصور التى تتابع أمامك فى الشارع الكبير ، العربات لا تهدأ ، أنوار المرور ما زالت تعمل لم تتوقف .. سيدة عجوز تبيع الورد وأخرى تمد يدها اليك (وتشحت) .. بنات صغيرات تتعثر خطواتهن فى الطريق ، فى الفم سيجارة وفى العيون نظرة اغراء .

مساومات

وبين حين وآخر ترقب رجلا وامرأة يتساومان .

وتدهش اذ ترى السيدات يقفن أمام واجهات المحلات كأننا فى الثالثة والنصف بعد الظهر وسيدة تسرع مع طفلها الصغير وبعض الصبية يلعبون

ويسرحون .. وجيل من الشباب يرتفع صوته بالغناء، ورواد الكباريات يخرجون منها ليكملوا السهرة في المطاعم والبارات .. وتنتشر الغانيات وتشهد القبل يتبادلها الرجال والسيدات في كل مكان .

مدير لا تنام .. والناس يؤمنون بقول عمر الخيام :

فما أطال النوم عمرا ولا
قصر في الأعمار طول انسهر

الكباريات والمقاهى والبارات تنتشر في كل حى وفى كل شارع ..
ولن نجد مكانا للجلوس فى سهولة .. أمضيت ساعة مع السيد فؤاد هلال
مستشار سفارتنا فى مدريد نبحث عن مائدة خالية فى أى شارع من
شوارع المدينة الالهية .

الناس يدفعون بأنفسهم الى الرقص والغناء والسهر .. وكأنهم
يعدون أيامهم فى الحياة .. أو كأنما يفرون من مجهول أسود .

تعمدت أن استقبل الفجر فى مدريد بعيدا عن الفراش .. الحركة
لا تهدأ والناس لا ينصرفون الا عند الخامسة صباحا عندما يقبل رجال
النظافة يطلقون خرطوم المياه لغسل الشوارع .

والعمل فى الحكومة والشركات لا يبدأ مبكرا ، وانه لا ينتظم فى
مدريد قبل الحادية عشرة صباحا .

فوجئت فى مطعم يرتاده السياح فى أحد الأحياء الشعبية أنشأه أحد
القراصنة الأغنياء ليطعم فيه الفقراء منذ ٤٠٠ عام بعد أن تاب عن السطو
والغزو .. أقول فوجئت بفتاة شقراء جميلة تصفع شابا على وجهه صنعة
جذبت أنظار الجميع .. ثم خرجت فى خطوات ثائرة .

وسألت صديقي الاسباني الذي كان يرافقنا فابتسم وهو يهز كتفيه قائلاً : ان الفتاة هنا لا تحتل خيانة صديقها لأنها تسلم له نفسها وتخلص له طالما قلبها يخفق بحبه .. ومعظم فتيات اسبانيا لهن « نويو » أى خطيب ومعظم الفتيان لهم « نوييا » أى خطيبة ، وتمتد العلاقة بينهما سنوات وقد تنتهى بالزواج أو الانفصال .

الرقصات أيضا ... شاهدت كل أنواع الرقصات الاسبانية الفلامنكو والاندلسيه ورقصات الشمال وفي كل الرقصات كانت تخرج الراقصة والعرق يتصبب على جبينها وجسمها وآيات الجهد تبدو ظاهرة للجميع .. الرقصة هناك كالمعركة .. استعداد وتأهب وتحفز ، هزيمة أو انتصار .. وهى فن يستغرق كل العواطف والأعصاب للراقصة والمتفرجين .

همسات أسبانية . .

* القسم النسائي في الحركة القومية « حزب الفالانج » هو الذى يشرف على الفنون الشعبية فى كل المقاطعات .

* رغم ان مدريد تسهر حتى الصباح الا أن جميع المنازل تغلق أبوابها بالمفاتيح فى العاشرة والنصف مساء .. ويحمل المفاتيح حارس خاص يعين على عدة منازل ولا يحمل السكان مفاتيح خاصة بهم .

* كل المحلات تغلق فى اسبانيا أيام الآحاد والأعياد .. حتى باعة السجائر والحلاقين والبقالين .

* عدد السياح الذين حضروا الى اسبانيا هذا العام بلغوا خمسة ملايين رغم ان الأسعار ارتفعت ٣٠٪ فى المدة من ديسمبر الى نهاية ابريل من هذا العام .

* مبنى مطار مدريد الجديد لم يتم بعد .. بدىء فى تشييده منذ ستة أعوام .

* الشقق فى مدريد لا تؤجر ولكنها تباع .. والشقق التى تؤجر تكون مفروشة حتى يستطيع المالك أن يخرج الساكن عندما يريد .

* الراقصة فى كباريات اسبانيا يجب أن تشرب على حساب الزبائن عددا من الكئوس كل ليلة والا فان ذلك يخصم من أجرها الذى تتناوله .. الراقصة تأخذ عشرة قروش عن كل كأس ثمنه جنيه !!

* اذا كنت لا تعرف اللغة الاسبانية فانك ستشعر بالضياح .. نادرا ما تجد أحدا يكلمك بالانجليزية أو الفرنسية .

✳️ الاسبانيون يقولون بأنهم تعرضوا لكثير من أنواع الغزو ..
ولسكن الغزو الوحيد الذى حمل اليهم الحضارة والثقافة كان الغزو
العربى .

✳️ لا توجد فى اسبانيا مساجد ولا يوجد مسلمون .

✳️ أرخص ما تشتريه من اسبانيا السيجار لأنه توجد معاهدة للتبادل
التجارى مع كوبا يلا ضرائب أو جمارك .

✳️ بين بلنسيا وبرشلونة بلد اسمها « الطاف الله »

✳️ هيلتون مدريد ليس أفخم فنادقها . انه الفندق الثالث بعد
ريترد بالاس .

✳️ قصور النبلاء لا يدخلها الا من يحمل ألقاب الشرف !

✳️ ٣٠٠٠٠ راهب تخرجهم كنيسة اسبانيا كل عام !

✳️ مدينة الليل .. تسهر حتى الفجر .. وتصحو ظهرا !

عندما هبطت الطائرة فى مطار مدريد .. كان قد مضى على زيارتى
الأولى لها عامان كاملان . فى المرة الأولى كانت أول كلمات سمعتها ، ان
المطار الجديد يبنى منذ سبعة أعوام وأنه لم يكتمل بعد ، وفى هذه المرة
تكررت نفس الكلمات ، فان المطار الجديد ، لم يتم بعد ، رغم مضى
تسع سنوات كاملة على وضع حجر الأساس !..

واتجهنا الى المبنى الصغير، الذى لا يكاد يتسع للقادمين والمسافرين،
والذين يتضاعف عددهم عاما بعد آخر .. فان اسبانيا أصبحت من أشهر
بلاد أوروبا السياحية ، وخاصة فى فصل الربيع .

سر الفلاء

والذى يعيش فى اسبانيا ، أو يدخلها بعد أن يغيب عنها فترة .. يلحظ الارتفاع السريع فى معدل الأسعار .. فبعد أن اشتهرت اسبانيا بأنها من أرخص بلاد أوروبا ، ضاعت عنها هذه الشهرة .. وأصبحت الأسعار فيها تتعادل مع أسعار فرنسا وإيطاليا .

وإذا بحثت عن السر .. فلن يجهدك معرفته .. ولن يطول بك الوقت .. لتصل الى الحقيقة .. التى يرددها كل الناس علنا ، وهم يزفرون الكبت والضيق .

انهم الأمريكان !

منذ أن وطئت أقدامهم أرض اسبانيا .. وأقاموا بها عدة قواعد عسكرية وذرية .. والأسعار ترتفع وترتفع .. والشعب يشكو ويشكو . والكل ينتظر عام ١٩٦٣ عندما تنتهى مدة الاتفاق على بقاء القواعد العسكرية .. وبذور الخوف فى كثير من القلوب خشية ، أن تطيل الحكومة عمر الاتفاق .. ويستمر « اليانكى » فوق أرض اسبانيا .

والمنطقة التى يعيش فيها الأمريكان فى مدريد .. هى فى اتجاه قاعدتهم العسكرية «توريخون» تقع على جانبى أجمل شوارعها وأعرضها والذى يسمى « الخنراليزمو » نسبة الى فرانكو .. وهم ينطقون كلمة الجنرال فى اسبانيا « بالخاء » !

هذه المنطقة بنيت منذ سنوات قليلة .. وانتشرت فوقها العمارات الحديثة .. وشارع الخنراليزمو يقرب فى عرضه من شارع الشانزليزيه فى باريس .. ومعظم سكان العمارات من الأمريكان « يسكنون فى أكثر من ... شقة » .. ولذا فإن المحلات القليلة المتناثرة هناك تضاعف أسعارها عدة مرات عن أسعار مدريد القديمة .

ومع هذا فالأسعار ترتفع يوما بعد يوم .. كيلو اللحم كان سعره ٧٢
بيزيتا عام ١٩٥٧ ، والبيزيتا تساوى ٦ مليمات بالسعر الرسمى .. وأصبح
اليوم ١٢٠ بيزيتا !..

اسلوب غريب فى العمل

ومرتبات موظفى الحكومة والطبقة العاملة تعتبر منخفضة جدا ، اذا
قورنت بالمرتبات فى أى دولة أوروبية ..

ومع هذا فانهم يمارسون حياتهم فى انطلاق كامل .. ولا تشعر أبدا
أنهم يعانون من الفقر الشديد . وتأخذك الحيرة .. وتفريك هذه المظاهر
بالبحث والتنقيب .

وتزداد حيرتك عندما تصل الى جذور المشكلة .. الناس فى اسبانيا
لا تقيدهم الوظائف والقوانين الجامدة .. الموظف البسيط يبحث لنفسه
عن عمل آخر فى أى مصنع أو شركة .. بل ان بعض ضباط الجيش ،
يمارسون أعمالا مدنية اضافية فى أوقات فراغهم !..

السهر حتى الصباح

والناس فى مدريد يمارسون حياتهم فى انطلاق ، وكأنهم يسهرون
الليلة الأخيرة فى الحياة .. مما جعل لمدريد طابعا خاصا بين عواصم العالم
.. انها مدينة الليل .. معظم الناس يسهرون حتى الفجر .. ولا تنتظم
الأعمال تماما قبل الحادية عشرة صباحا .. ويتناول الغداء فى الثالثة أو
الرابعة .. والمطاعم تقدم العشاء فى منتصف الليل أو بعد ذلك !..

وشوارع جران فيا ومنطقة وسط المدينة ، لا تعرف النوم طول الليل
.. الأضواء تتناثر فى واجهات المحلات ودور السينما والمسارح

والكباريهات والمقاهى .. والزحام يشتد حتى الرابعة صباحا ، مثل الزحام الذى تشاهده فى القاهرة فى شارع سليمان عند خروج دور السينما .

وقد حاولت الحكومة أن تغير من طابع الحياة فى مدريد .. ان تجبر الناس على النوم مبكرا باغلاق المحلات ، حتى تنتظم الأعمال فى الصباح .. وان تجعل من مدريد مدينة عادية مثل بقية مدن اسبانيا . وحددت لذلك أول يوليو من هذا العام .

وتصادف ان كنت هناك فى هذا التاريخ .. وحرصت على مشاهدة نقطة التحول التاريخية فى مدينة الليل والانطلاق .

وقبل أن تغرب الشمس ، صنعت همسات بأن هذا القرار لا يمكن تنفيذه .. وان الحكومة قد تراجعت وحددت ساعات السهر لدور السينما فجعلت حفلة السواريه تخرج فى الواحدة صباحا ، بدل الثانية والنصف وانها تركت المقاهى والكباريهات والبارات مفتوحة الأبواب بلا قيود!

وتحقق ذلك فعلا .. ومضت ليلة أول يوليو .. مثل كل الليالى .. الناس تزدحم بهم المطاعم والملاهى والشوارع .. حتى تنطلق عربات البلدية ترش الشوارع .

وسوف يدهش الانسان كثيرا عندما يجد الشوارع تكاد تكون خالية تماما حتى التاسعة صباحا .. ثم تبدأ الحركة فى هذه الساعة المتأخرة .

ان مدريد تفصل حياتها على مقاس الفنانين !..

رقص الفلامنكو

وأروع ما تلتقى به فى اسبانيا ، رقصات الفلامنكو .. التى تنبع من الأندلس .. وينشرها فى أنحاء العالم هؤلاء الراقصون والراقصات الذين تشاهدهم فى كل مكان .

ومعظم مسارح اسبانيا تعتمد على الفلامنكو كعنصر رئيسى من مادتها الفنية .. ولعل أشهرها هو ملهى (الزابدا) الذى يسجل تاريخ الراقص أو الراقصة ، بأنه كان يعمل يوما فى (الزابدا) .

وهو مكان صغير به عدد محدود من الموائد ، وخشبة مسرحه صغيرة جدا تجلس الفرقة فوقها على كراسى تتناثر على الأضلاع الثلاثة لخشبة المسرح .. وهى تضم عازفين على الجيثار ومطربين وراقصين وراقصات.

أهم ما تلاحظه هو الجدية فى أداء الرقصات ، والجو الحالم الذى يعيش فيه الراقص أو الراقصة ، على نغمات الجيثار وأغنيات الفلامنكو وتصفيق الأيدي الذى يتلون فى دقة ومهارة .. لا تجعل الانسان يشعر بالملل رغم امتداد البرنامج ساعات دون تغيير فى المناظر أو الاضاءة أو نوع الرقص .

والغريب أنه لا توجد فى اسبانيا فرقة للفنون الشعبية .. أى فرقة تعمل على تطوير رقصات الفلامنكو ، وإشراك مجموعات كبيرة فيها .. وربما يعود ذلك الى حيوية الرقصات الفردية .. والى أن كل اسباني يستطيع أن يؤدي هذه الرقصة ، حتى فى منزله ..

سلطة الكنيسة

ورغم أن شعب اسبانيا مرح وفنان بطبيعته .. الا أن الكنيسة تسيطر عليه سيطرة تامة كاملة .

والكنيسة فى اسبانيا ، تصل قمة قوتها بعد الفاتيكان مباشرة .. لهم يخرجون فى كل عام ٣٠٠٠٠ راهب ينتشرون فى أنحاء العالم ، وخاصة فى أمريكا اللاتينية .

والاسباني يخشى ألا يذهب الى الكنيسة يوم الأحد .. ولا يتردد لحظة فى التبرع لها بما تطلبه .. حتى لا تلتصق به تهمة معاداة الكنيسة .

حدث أثناء اقامتى هناك ، ان طرق باب الشقة قسيس وتحدث معى
بالاسبانية ، فعجزت عن التفاهم معه . وهنا قدم لى ورقة كتبت بالانجليزية
وذلك لأننا كنا نقيم فى عمارة معظم سكانها من الأمريكان ، والورقة
تتضمن رجاء بالتبرع للكنيسة من أجل مشروعات الخير !

وشاهدت أيضا ، قسيسا فى ملابس زاهية ، يخرج من احدى الدور
فى طريقه الى عربة من عربات الكنيسة .. وعندما لمح الناس ركعوا له
فى الشارع !..

وسألت فعلمت أن صاحب المنزل كان قد نذر شيئا للكنيسة .. وان
حضور القسيس اليه ، يعتبر تشريفا كبيرا ، وأنه طالما أن القسيس فى
ملابسه الرسمية ، وفى هذه المهمة .. فإن الناس يجب أن تركع له .

والكنيسة تستطيع أن تحرم من دخولها من تشاء وقتما تشاء ..
ولذا فهي تسيطر على الجميع .

ومن آثار ذلك .. انك لن تجد اسبانيا واحدا يدين بالاسلام ، رغم
بقاء الاسلام هناك ثمانية قرون .. فقد هاجر الى المغرب من آمن به ايماننا
كاملا .. أو تخلى عنه من أثر الحياة فى موطنه .. وهكذا لم يعد فى
اسبانيا حتى الآن مسلم واحد .

ولا يعنى هذا اطلاقا ان الكنيسة ما زالت تهاجم المسلمين .. فان
آثارهم انقضت من قرون بعيدة .. ولكنها تهاجم فى قسوة وعمق كل
الأفكار المتحررة ، وكل من يحاول أن يخرج عن سيطرتها وسلطانها
الكاملة .

والكنيسة هى أغنى الهيئات فى اسبانيا .. عندها أموال طائلة ولها
اقتطاعات بلا حدود ..

الاقطاع

والاقطاع فى اسبانيا ما زال فى أوج قوته .. هناك من يملك جبالا كاملة .. تنتشر فوقها الغابات وأشجار الفاكهة .. ولا يجروء أحد على الاقتراب منها .

اقطاع كامل ما زال يحمل صورة القرون الماضية .. والاقطاعيون النبلاء ، يترفعون عن الشعب ترفعا كاملا .. لا يدخل قصورهم ، الا من يحمل القاب النبالة والشرف .. ولا يجروء على مصاهرتهم الا أبناء الأسر المشابهة .

حدثنى صديق فى مدريد ، انه تعرف الى أحد هؤلاء الاقطاعيين .. ودعاه الى ضيافته التى تضم ٤٠ ألف فدان .. وعلم منه أنه لا يسمح بدخول أحد من الاسبانيين الى قصره .. الا من سجلت أسماءهم فى قوائم تحفظ طرفيه فى مكتبه !!

النظام الملكى

والنظام فى اسبانيا يحفل بالمتناقضات .. الدستور ينص على أن اسبانيا تدين بالنظام الملكى .. ولكنها تعيش بلا ملك منذ عام ١٩٣٧ ، أى منذ تولى فرانكو رئاسة الدولة !

ومع هذا فان فرانكو يعلن بين حين وآخر ، ان النظام الملكى فى طريق العودة .

والدستور ينص على أن يتولى الحكم .. اما ملك قوى له سلطات رئيس الدولة .. واما مجلس للوصاية على ملك صغير ويكون للمجلس سلطات رئيس الدولة أيضا .. واما رئيس للدولة مثل فرانكو بلا ملك أو مجلس للوصاية ..

أى حل من هذه الحلول الثلاثة ، يبيحها الدستور أساسا للحكم .
وفي البرتغال يعيش المطالب بعرش اسبانيا الدون جوان .. ولكن
فرانكو يرفض عودته .. بينما هو يحتضن ابنه الذى يعيش فى اسبانيا،
ويعلمه فى الاسكوريال ، مقر الكنيسة القوى .
ويتحدث الناس فى أسبانيا عن سياسة فرانكو الذى يرأس حزب
الفسالانج ، والذى يضم فى داخله أنصارا للملكية ، وأنصارا لرئيس
الدولة ..
وفرانكو يقف موقف الموازن بين الاثنين .. يظل مع الجناح الضعيف
حتى يقوى .. ثم يعود من جديد الى تقوية الضعيف حتى تتوازن القوى
.. وهكذا ذبذبة دائمة !..

حياة الزلة

واسبانيا تعيش فى عزلة فكرية عن العالم الخارجى .. كل الأنباء
الخارجية تصدر عن (وكالة الأنباء الاسبانية) التى تتولى توزيعها على
الصحف وهى ليست عضوا فى الأمم المتحدة ولا ترتبط بعلاقات سياسية
مع أية دولة شيوعية أو اشتراكية . ولا مع كثير من دول أفريقيا المتحررة .
وتوزيع الجرائد فى اسبانيا لا يتناسب إطلاقا مع نسبة المتعلمين ..
فان أعظم الجرائد انتشارا لا يتجاوز توزيعها ١٥٠ ألفا .
جريدة واحدة هى التى يصل توزيعها الى مليون وتصدر فى برشلونة
تحت اسم (فان جعارديا) وذلك لأنها تجد سوقا هائلة للتوزيع فى أمريكا
اللاتينية .

وكل الجرائد تتوقف عن الصدور يوم الاثنين .. حتى ينعم المعززون
بعطلة الأحد .. وتصدر جريدة حكومية صغيرة اسمها (ارخادى لوتس)
أو (ورقة يوم الاثنين) !.

وكثير من الأسماء اللامعة في عالم الفن والأدب تعيش خارج اسبانيا .. مثل سلفادور دى مادرياجا الأديب الكبير ويقيم في لندن.. وميجيل ساتباتا أستاذ القانون الدولي المالى ويستقر في فرنسا .. وخوان رامون خيمينيت الحائز على جائزة نوبل والذي توفي عام ١٩٥٧ ، والذي نعرفه في مصر عندما أثرت ضجة حول كتابه (حمارى وأنا) .. كان أيضا يقيم في بورتريكو .. والمؤرخ سانشجيت اليورونوث الذى كان وزيرا للمعارف رحل الى بيونس ايريس .. وييكاسو أستاذ الرسم المعاصر يعيش في الريفيرا .. ومؤلفات لوركا الذى قتل في أغسطس عام ١٩٣٦ مازالت تصدر هناك حتى الآن .. ولم يفرج عنها الا في هذا العام حيث يمكن شراء مؤلفاته كاملة فقط .. وسعرها المرتفع يمنع وصولها الى عامة الشعب .

ونظام الحكم في اسبانيا مرتبط بفرانكو وموقفه السياسى ، وقد خطب فرانكو في العام الماضى ، عندما أشيع في برشلونة أنه سوف يتنازل عن الحكم للسلك ، قائلا انه قد أنهى ٢٠ عاما في الحكم .. وانه يدعو الله أن يمنحه العسر والصحة ليحكم عشرين عاما أخرى !..



بیت

أغرب من الخيال . . !

عند ما سمعت هذه القصة فى لمانيا .. لم تدهشنى
حوادثها التى فاقت حدود الخيال ولكن أزعجنى
وأرقنى انى لم أعرف السبب الذى من أجله اندفع
بطل القصة فى هذا السبيل .

أنا لم أعرفه ولم أراه .. ويسعدنى أن أراه وأسمعه
هنا فى القاهرة ، وقد عاد إليها .. فان قصته ما زالت
تشغل فكرى رغم انى سمعتها منذ أسابيع .. وهى فى
رأىى تستحق المناقشة والبحث والدراسة ..

كيف بدأت القصة .. ؟

بدأت فى أحد ملاعب الجامعة أثناء مباراة للهوكى
.. انطلقت الكرة الصماء كالقذيفة وأصاب أحد
الطلبة فى بطنه فمزقت غشاء البطن وبعض العضلات .

وحمل الطلبة زميلهم والدماء تنزف منه الى
مستشفى الجامعة .. وهناك أجريت له عملية جراحية
قال عنها الطبيب انها سوف تعيد كل شىء الى أصله ..
وأن الطالب سوف يرجع من جديد الى لعب الهوكى .

ولكن .. العملية لم تنجح !

وتكررت العملية للطالب ٢٤ مرة بلا مبالغة ..

٢٤ مرة يدخل الطالب غرفة العمليات ويخدر الكلى ، ويفتح بطنه
مشرط الأطباء .. ويعود الى سريريه وحوله من الجميع أمنيات بالشفاء.
وتحولت قصة الطالب الى مأساة .. الطب في القاهرة عاجز عن
النجاح في هذه العملية البسيطة .

ووصلت القصة الى ادارة الجامعة .. واتخذت قرارا انسانيا .. يجب
أن يسافر الطالب الى لندن .. الى أشهر الجراحين هناك . فقد أصيب
أثناء مباراة رياضية كان يمثل فيها كليته .

وحملت الطائرة الطالب المريض الى لندن .. وما زالت في بطنه آثار
التهتك واضحة .. وبين دهشة الجميع في مستشفى لندن أجريت عليه
أبحاث عديدة ..

والآن سأعبر بك فترة اقامة الطالب في لندن .. فأنا لا أعلم عنها شيئا
بالتفصيل .. ولكنى سأروى لك ما حدث في ألمانيا كما سمعته من راوى
القصة الأستاذ محمد فتحى مستشارنا الثقافى فى بون .

وصلت الى محمد فتحى اشارة من أحد مستشفيات كولن تفيد أن
طالبا مصريا تنزف منه الدماء قد وصل اليها فورا من المطار .. وأسرع
محمد فتحى الى هناك .. وعرف القصة .

الطالب أمضى فى لندن ثلاثة شهور أجريت له فيها ثلاث عمليات ، لم
تنجح جميعها .. وتقرر اعادته الى القاهرة ليكون بين أهله وعشيرته .

وفى الجو وبعد أن غادرت الطائرة مطار لندن .. أصيب الطالب
بنزيف حاد .. واستدعى المضيفة التى اتصلت بإقائد الطائرة وشرحت له
حالة الطالب المسكين .

واتخذ قائد الطائرة قرارا جريئا .. هبوط الطائرة فى مطار كولن ،
وهو أول مطار فى طريقهما .. بدلا من الاستمرار فى الطيران الى
فرانكفورت ..

وبعد اتصالات سريعة مع القاهرة .. دخل الطالب مستشفى كولن ..
وأكد كبير الأطباء لمحمد فتحى أنه يضمن نجاح العملية بنسبة ١٠٠٪ .
وأثناء العملية كان العرب جميعا فى المدينة الألمانية يحيطون بسرير
الطالب الرقيق المريض وخرج الدكتور مستبشرا .. نجحت العملية .
ولكنه بعد أيام فوجئ بأن نكسة شديدة أصابت الطالب .. درجة
حرارته ارتفعت حتى بلغت ٤١ .. العملية تهتكت من جديد .. أصيب
الطالب بفقر دم شديد .
وبدأ الطبيب يعالجه من الحمى وفقر الدم .. و ينتظر عودة صحته
لاجراء عملية جديدة .
وبعد أيام أجرى الطبيب عملية ثانية .. ولكنها أيضا لم تنجح .. كان
الطبيب يشد شعر رأسه الأبيض وهو لا يكاد يصدق أن مثل هذه
العملية البسيطة لا تنجح !..
وفجأة اتصل الطبيب بمحمد فتحى وطلب منه تحويل الطالب الى
مستشفى آخر ..
وتساءل محمد فتحى عن السبب ..
انه يحدث ثورة فى المستشفى ... ويتهجم بالسباب على الممرضات
.. وتتحول رفته ووداعته التى تظهر على ملامحه الى وحشية كاسرة ..
إذا طلبوا منه البقاء فوق السرير ، أو تناول الفيتامينات والأدوية المقوية
التي تعالج فقر الدم .
وسأل محمد فتحى الطالب عن سبب ذلك .. فأجاب بأنهم يجبرونه
على عدم الذهاب الى دورة المياه .. وقضاء حاجته على السرير .. وانه
يخجل من كشف عورته أمام النساء .
ولم يجد محمد فتحى فى ذلك عذرا ولا تبريرا . وأرسل الى القاهرة
.. وجاء الرد كالصاعقة .

تقرير كامل من الطبيب البريطاني المعالج في لندن أرسله في اثر الطالب الى القاهرة .. يوضح فيه ان فشل هذه العملية البسيطة أثار الشكوك في نفسه .. وانه بعد فشلها للمرة الثانية .. وضع الطالب تحت المراقبة السرية بعد العملية الثالثة .

ماذا لاحظ الطبيب البريطاني ؟

الطالب يمزق احشاءه بأظافره ... ينزل من على السرير ويمشى في الغرفة وهو ممنوع من الحركة .. يلقي حبوب الدواء ولا يشربها .. يقاوم الشفاء ويعمل كل ما في طاقته ليبقى مريضا في المستشفى .

والقاهرة تطلب اعادة الطالب فورا .. وأحاط الطبيب الألماني الطالب بضمانات قوية ، وسلمه مجمد فتحى الى طائفة شركة مصر للطيران في فرانكفورت ، وأوضح لهم قصته ، وطلب منهم ألا ينزلوه في أية محطة قبل القاهرة .

والطالب لا شك انه يعيش اليوم بيننا .

وما زالت قصته تحيرنى .. ما الذى يدفعه الى مقاومة الشفاء ، وتمزيق جلد بطنه .. ليجرى العملية ثلاثين مرة .

لا شك انها أسباب قوية تعيش في نفس الطالب منذ الصغر .. هي التى تدفعه الى هذا السلوك الشاذ المريض .

أنا ما زلت في حيرة .. ولعلنى تركت القراء أيضا في حيرة .. وما زال السؤال قائما .

ما هى أسباب هذه القصة التى تفوق الخيال ؟

هل يعرف أحدكم لذلك تحليلا ؟

وأين الطالب المريض ؟



• • • • •

جولة في الشرق البعيد

* المدينة التى يتحكم فيها المال والفساد وطلقات
الرصاص . .

* هونج كونج ليست مدينة ولكنها ٢٤٦ جزيرة ..
* الخلافات بين هونج كونج وفرموزا .. أكثر منها
بينها وبين الصين الشعبية ..

الموانى الحرة فى العالم تختلف عن غيرها من المدن
. . البضائع من كل الدول تتدفق الى الميناء ، وتنزل
مباشرة الى المحلات والأسواق . . لا ضرائب ولا
جمارك .. الأسعار رخيصة وغير محددة .. والعموض
يسود علاقات البشر . . يعيش فيها المهربون
والخارجون على القانون .. والكلمة العليا فيها طعنة
سكين أو طلقة رصاص فى الظلام ..

شاهدت طنجة فى المغرب وهى ميناء حر .. كانت
تضم سكانا يتحدثون بكل اللغات .. وشاهدتها بعد
أن أصبحت ميناء مغربيا .. وهجرها التجار من مختلف
الأجناس .. انهم لا يطبقون العمل فى قيود القوانين .

وهكذا أقبلت على مستعمرة بريطانيا فى الشرق
البعيد .. جزيرة هونج كونج وأنا أحمل ذكريات
طنجة قبل أن تعود الى الوطن العربى .

وهكذا أقبلت على مستعمرة بريطانيا في الشرق البعيد .. جزيرة هونج كونج وأنا أحمل ذكريات طنجة قبل أن تعود إلى الوطن العربي .
ولكن هونج كونج تختلف تماما عن كل ما رأيت من مدن في أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا .. انها مدينة ذات طابع خاص .

ولكن هونج كونج ليست مدينة فقط .. وليست جزيرة واحدة ..
انها مستعمرة بريطانية تضم قطعة من أرض الصين الشعبية ولا تفصلها
حدود جغرافية .. وتضم أيضا ٢٣٦ جزيرة .

وعلى الجزيرة يرتفع علم بريطانيا .. وما زال اسمها (مستعمرة هونج كونج) .. وفي مينائها أسطول بريطانيا .. وحلف جنوب شرقى آسيا (السياتو) .. وهناك حاملات للطائرات ، بعضها يحمل أكثر من خمسين مقاتلة .. وهناك بوارج ومدمرات وغواصات .. وهونج كونج تشكل مع سان فرانسيسكو وريو دي جانيرو أعظم موانئ طبيعية في العالم .
والميناء يبدو لك أنه على استعداد دائم للقتال .. ولكن رغم هذا فالعلاقة بين بريطانيا والصين الشعبية يمكن أن يقال عنها - هادئة - والعلاقات بينهما تمضى في مجراها الطبيعي .

قطار يومى يصل من الصين الشعبية يحمل الغذاء لسكان المستعمرة ،
التي تعتمد على ذلك اعتمادا كليا .. وللصين الشعبية مركز تجارى كبير
في شارع ناثن من أهم شوارع المستعمرة .. وعند حرب كوريا ١٩٥١
أوقفت التجارة مع الصين الشعبية فزادت البطالة ..

ولم تحدث منازعات مسلحة بين البلدين .. ولم يتحرك الأسطول
يوما في غزوة عسكرية .. ولم تطر مقاتلة فوق الصين الشعبية للاستكشاف
والتصوير .

العلاقة بين بريطانيا والصين الشعبية من جهة .. وفرموزا أو تايوان
- كما يطلقون عليها - من جهة أخرى .. تندخل في خلافات حادة مع

بريطانيا .. ويبلغ الجدل بينهما حد تبادل الاتهامات فان الصينيين في هونج كونج من التجار واللصوص والمهرين والمجرمين .. ينتسبون الى فرموزا .. ولا يستطيعون الدخول الى الصين الشعبية ، لأنهم تعودوا حياة تختلف تماما عما تعودته الناس في بكين وشانغهاى وكانتون وغيرها من المدن .

بين القمة والسفح

ومستعمرة هونج كونج لها عاصمة اسمها (فيكتوريا) في جزيرة هونج كونج ذاتها التى تبلغ مساحتها ٢٩ ميلا مربعا .. ويرتفع فيها جبل أخضر ، يشرف على منظر من أروع المناظر .. حيث تنتشر الجزر حوله ، وتتناثر الأنواء فى الليل على المياه فتبدو كأنها اللآلىء تحيط بقدميه .

والمدينة تضم مباني حديثة وعسارات شاهقة .. وكلما ارتقينا الجبل رأينا القصور والفيلات ، تحيط بها الحدائق وتظللها الأشجار ، وتزينها الزهور .. ولكن اذا هبطنا الى سفح الجبل وجدنا شيئا مغايرا تماما .

والحياة نشيطة والأسواق مزدحمة .. والناس كثيرون كالذباب .. وبعض الأحياء لا تستطيع دخولها .. رائحتها قذرة .. الرطوبة فيها تجثم على الصدور .. والشوارع ضيقة والدور مهدمة والانسان معذب وبائس وفقير ..

والتناقض الصارخ تشهده فى شوارع هونج كونج .. البينوك التى تضم ملايين الملايين من جميع عائلات الأرض ، يجلس على الأرصفة أمامها نماذج حية من الأجسام المعروفة ، التى تقطر عيونها أسى ، وكلماتها مرارة .. والتي لا تقوى أحيانا على السير .

المستعمرة التى احتلتها بريطانيا عام ١٨٤٢ ، وكانت تضم قبل الحرب حوالى المليون .. أصبحت اليوم تضم ثلاثة ملايين .. زاد عدد المهاجرين

اليها بعد غزو اليابان للصين .. ثم هاجر اليها البعض بعد انتصار الثورة الشعبية هناك .

وتتجت عن ذلك مشكلة رهية .. مهاجرون بلا مأوى ولا عمل ولا أمل .. وكل الأذرع مفتوحة للضياع .. والجريمة بذورها تشر على عجل ..

والآئعكاس الأول في المدينة هو الشعور بالأسى على هؤلاء الضائعين المشردين .. الذين يتجمعون على القاذورات كالذباب .
ولكن هذا ليس كل شيء في هونج كونج .

انك اذا أقبلت عليها بعد سفر طويل ، ودخلت غرفتك في الفندق في شهور الشتاء ومطلع الربيع ، وحاولت أن تأخذ حماما يزيل عن جسمك متاعب السفر .. فسوف تصدم كثيرا عندما تفتح الصنبور ولا يتدفق الماء .

وسوف يعتذر لك صاحب الفندق .. لأن المياه في هذه الشهور توزع على أحياء المدينة بالساعات .. لأن جزر هونج كونج جميعا لا توجد بها كميات كافية من المياه .. وليس بها الا نهر صغير .. يعرف بالفيضان خلال شهرى أغسطس وسبتمبر .

ولم توفق الحكومة حتى اليوم في اعداد خزانات لتخزين الماء حتى يكفى الجميع .

وتضاعف هذه المشكلة من متاعب الفقراء .. وتنتشر فيهم الأمراض .

عندما وصلت هونج كونج .. كانت الكوليرا منتشرة فيها .. وكان الخطر فظيما .. لولا اسراع الحكومة في تحصين كل السكان .. والى جوار الكوليرا تنتشر أمراض أخرى ، أهمها السل ، والبلاجرا ، والأمراض الخبيثة التى تجد لها في الفقر مرتعا خصيبا .

بؤس الانسان

وأمثلة البؤس في هونج كونج ، لا يحصيها العد .. تبدأ من هذا المنظر المؤلم الذى اختفى من الصين التى تضم ٦٠٠ مليون ، منظر الريجشا .. وهى العربة التى يجرها الانسان بدلا من الحصان .

سائقو الريجشا صورة مؤلمة من صور البؤس .. وهم يمارسون الى جانب مهنتهم غير الانسانية مهنا أخرى أكثر انحدارا ووضاعة .. ولن يعيب أحد عليهم شيئا .. فليس هناك حاجز يمنعهم عن التردى الى الهاوية ..

ومنظر آخر يلتقطه الزائر ، اذا بعد خطوات عن الشوارع الحديثة .. انه يلتقى بشوارع ضيقة لا تكاد تتسع لمرور عربة واحدة ، وعلى جانبيها سلسلة من البيوت القديمة التى بنيت من الخشب ، وترجع الى القرن التاسع عشر .. والتى لا يمر يوم دون أن يتصدع بعضها ، ويتهدم ، أو تشتعل فيها الحرائق ومعها كل يوم ضحايا من البشر .

وقد بدأت الحكومة فى وضع خطة لبناء عمارات شعبية . تنقل اليها هؤلاء الناس .. ولكنها حتى الآن لم تنجح الا فى بناء عمارات من ثمانية طوابق بلا اسانسير .. وتتسع الغرفة لعدد لا يقل عن خمسة أفراد .

كما أنه يشترك كل ١٢ غرفة فى دورة مياه واحدة .. وكما أوضحت لا تصلهم المياه بانتظام .. توزع عليهم فى مواعيد خاصة .

وأمام العمارات مجرى من الأسمنت تجرى فيه المياه ، وذلك لغسيل الملابس .. وهو مجرى تعف العين عن النظر اليه .. لون المياه فيه مثل لون التراب ..

ومع هذا فان الأسرة تدفع فى الغرفة الواحدة كل أسبوع ١٤ دولارا من دولارات هونج كونج .. والدولار الأمريكى يساوى حوالى خمسة دولارات ونصف دولار من دولارات هونج كونج .

حياتهم في قارب

ولا تقتصر مظاهر البؤس على هؤلاء .. ولكنها تنتقل الى صورة أكثر بشاعة ونكرانا ..

ألوف من السكان يمضون حياتهم في قوارب تسمى (السانيان) .. وهى مثل القوارب الصغيرة التى نستأجرها فى روض الفرج وقصر النيل ، لعمل نزعات فردية فى النيل .

الأسرة كلها تعيش حياتها ليل نهار فى قارب واحد .

ذهبت فى زيارة الى هذه المنطقة العجيبة فى الليل .. مع عدد من الصحفيين من مختلف أنحاء العالم .. ودبت الحياة فى المنطقة الراكدة الساكنة كالموت .. وتعالى الأصوات من الأطفال والكبار ، تطلب منا النزول الى قواربهم والخروج فى عرض البحر نظير عدد من الدولارات .. ونزلنا .. الزوج غائب .. والزوجة وحدها تحرك القارب .. ومعها بنتان احدهما فى الرابعة وطفلة رضيع .. ولها ثلاثة أولاد يلعبون فى الشارع ..

قارب آخر فيه فتاة ناهد فى السابعة عشرة ، وشاب وخمسة أخوة .. والأب والأم ..

ودارت فى ذهنى أسئلة محرجة .. كيف يتصل الزوج بزوجه ؟

كيف يقضى الانسان حاجته الطبيعية ؟

من أى شىء يرتزقون ؟

وكانت الاجابة معيرة .. ولكن كل شىء فى هذه المنطقة وفى المناطق الأخرى .. يدفع الانسان دفعا الى التخلي عن الكرامة البشرية والأخلاق الانسانية والانحدار الى مستوى بلا قيم .

واذا عدنا من جديد الى الأحياء الحديثة وجدت أشياء أخرى تثير العجب والدهشة .

أنت لا تستطيع أن تمضي في الشارع خطوات دون أن تناديك امرأة من نساء الليل .. وربما تجذبك من يدك أو ذراعك ..

وسائق الريجشا والتاكسي ، وخادم الفندق والمطعم والبار وكثير من الباعة .. يقدمون لك خدماتهم الحقة في كلمات معسولة وابتسامة صينية مهذبة .

وهكذا تنتشر البشور على صفحة وجه هونج كونج . وأصبحت الدعارة أسلوبا من أساليب الحياة ، التي ينزلق اليها معظم النساء ، بلا تحديد .

وثياب النساء التي تكشف فتحتها الجانبية عن أسفل الفخذ ، ترتفع فيها أحيانا قرب الخصر .. والمرأة تسير في الشارع تغري بجسمها وكلماتها وإشارتها أى شخص من العابرين .

والدعارة ليست في أجسام الناس فقط .. ولكن هناك دعارة خلقية تتسل في سلوك الناس ومعاملاتهم .

أنت في هونج كونج تستطيع أن تشتري كل شيء بالمال .. الشرف ذابل هناك كالشجر في الشتاء .

والتاجر يحاول أن يسرق أموالك . يرفع لك السعر أضعافا مضاعفة .. ولن تصل معه الى السعر المحدد الا بعد المرور على أكثر من محل ، وبعد مساومة قد تطول الى ساعات .

الشراء هناك عملية تعذيب ، لا يصلح لها الا النساء اللاتي من طبعهن المساومة ..

في أول يوم لي هناك اشتريت ولاعة بمبلغ ٦ دولارات ، وبعد أن أقسم البائع لي أن ثمنها ٨ دولارات ، وعلى بعد خطوات منه ، وجدت

نفس الولاة عند بائع آخر ، وسأله عن ثمنها فقال ٦ دولارات ..
وأردت الفصل معه حتى أتينا السعر الحقيقي لها . وقبل أن يبيعها
بمبلغ ٣ دولارات ونصف دولار .

ورجعت للبائع الأول ، وقلت له ان زميلك على استعداد لبيع
الولاة لي بمبلغ ٣٥ دولار . فخذ دولارا آخر وأعطني ولاعة ليكون
مجموع ثمنهما ٧ دولارات .

وقال البائع : ولكنى بعثتها لك بستة دولارات ، واذا أردت واحدة
ثانية ، فادفع ستة دولارات أخرى .

وكان هذا الحديث يعنى أنه لا فائدة .. وضحكت من غفلى ..
ولما رآنى الرجل وأنا أضحك .. قال لى هو الآخر مبتسما :
— انك يا سيدى لا تعرف هونج كونج . ومن هذه اللحظة بدأت
أعرف عليها .

الاستعمار هو السبب

بدأت أتعرف على هؤلاء الذين يطحنهم الاستعمار ويفقدونهم
كل شيء .

رأيت الأثرياء الذين يملكون ملايين الملايين ، الصينيين الذين
يحملون لقب (سير) ويركبون عربات الرولز رويس ويدخنون البايب
.. ويعيشون فى قمة الجبل فى قصور تتواضع بجانبها أحلام ألف ليلة
وليلة .

ورأيت الجبل قائما من حولهم يحميهم من زحف هؤلاء الذين
يتكدسون فى القارب ، والشوارع الضيقة ، والمنازل الخشبية المهتمة .
يتجمعون كالذباب لا يملكون شيئا حتى الماء .. واذا طلبوا العمل كان
بعيدا عن الكرامة والشرف ..

واذا أخذتهم يقظة الضمير .. وبدءوا يتحركون فتحت لهم أبواب
السجون .

وسمعت عن بعض العائدين الى الصين الشعبية ، حيث سمعوا عن
حياة ينتصر فيها العمل على التعطل والفساد .

ورأيت بعض الهاربين من الحياة الى ضباب الأفيون والهيروين .
رأيت مدمني المخدرات ، الذين ينتشرون في المستعمرة بنسبة
لاتصل اليها دولة في العالم ..

وتحدثت مع مدير سجن المخدرات .. ودخلت عنابرهم وذقت
طعامهم ..

ولكن .. الحديث عن الأفيون يطول فالى وقت آخر حيث نمضي
الى المدمنين في أوكارهم .. لتعرف دائما أن الاستعمار هو السبب .

هونج كونج

* بريطانيا أعلنت الحرب مرتين على الصين من أجل تجارة ..
الأفيون ..

* مخدرات الشرق الأوسط يرد معظمها من هونج كونج •
منذ قرن وعشرين عاما ، وبالتحديد عام ١٨٣٩ ، لم يكن الخجل
يمنع حكومة بريطانيا من أن تعلن الحرب على الصين ، لتسمح لها
بتجارة الأفيون .

نعم .. أعلنت بريطانيا الحرب على الصين من أجل السماح للشركة
البريطانية التي تسمى (شركة الهند الشرقية) بتجارة الأفيون لتخدير
شعب الصين .. ولم ترتفع صيحات كاذبة في لندن تقول (يا للعار ..
يا للعار) .

وهكذا كان الاستعمار يدفع للسرقة والنهب .. بلا خجل
ولا حذر .

والقصة تبدأ عندما اتخذت حكومة أسرة مانشو في الصين سياسة
العزلة .. وقررت أن تقتصر التجارة مع الأجانب في ميناء « كانتون »
.. وذلك لأسلوب التجار الأوروبيين في التسلل وشراء الأفراد ، وخلق
قاعدة صالحة للاستعمار .

وقد كتب لي « شي ياو » نائب الملك عام ١٧٥٩ تقريراً عن « لوائح
المراقبة على الأجانب » .. جاء فيه . ومن رأيي المتواضع جداً أنه عندما
يجيء البرابرة غير المتحضرين الذين يعيشون في أماكن بعيدة وراء

حدود الصين الى بلادنا للتجارة ، فينبغى ألا يقيموا أية صلة الا للأغراض الخاصة بأعمالهم .. ولهذا فمن الأفضل اتخاذ اجراءات احتياطية لتقييد حركاتهم ، بدلا من معاقبتهم بعد أن يخالفوا القانون. وكانت بريطانيا تحتفظ بمركزها القيادى فى التجارة مع الصين ، رغم اندفاع الولايات المتحدة بعد حصولها على الاستقلال عام ١٧٨٤ ، وفرنسا ، وهولندا ، والبرتغال ، وغيرها من الدول .. الى محاولة فتح الصين للتجارة ..

وعندما اتخذت أسرة مانشو قرارا جديدا عام ١٨٣٩ يحظر تجارة الأفيون نهائيا سواء فى كانتون أو غيرها .. ثارت ثائرة التجار البريطانيين ، واستبد بهم الجنون ..

الهند تنتج لهم الأفيون ، وهم يحملونه الى شعب الصين ، ويربحون من وراء ذلك أرباحا خيالية .. يهددها الآن ذلك القانون الذى يحصى الشعب بمنع (تجارة الأفيون) ..

وأعلنت حكومة بريطانيا التى يسيطر عليها التجار (حرب الأفيون)

هونج كونج

واستمرت الحرب ثلاثة أعوام ، وصل فيها البريطانيون ، قرب شنغهاى .. وخشيت أسرة مانشو على سلطاتها .. فترددت بعد اندفاع .. وساومت بعد اصرار .. وعقدت مع البريطانيين صلحا فى عام ١٨٤٢ ووقعت أول معاهدة غير متكافئة بين الطرفين .. معاهدة نانكين التى ابتزت فيها بريطانيا من الصين تعويضا قدره ٢١ مليونا من الدولارات .. وأرغمت الصين على فتح خمسة من موانئها لجميع أنواع التجارة بما فيها الأفيون .. ومنحت بريطانيا حق « معاملة الدولة الأفضل » .. وخفضت التعريفة الجمركية بين البلدين .. واغتصبت بريطانيا من الصين جزءا من أرضها هو منطقة « هونج كونج » .

ومع هذا فان بريطانيا وجدت بعد فترة أن الموانى الخمسة التى فتحت للتجارة ، كانت جميعا على الساحل الجنوبى الشرقى ، الامر الذى لا ينشط تجارة الأفيون فى المنطقة الساحلية الشمالية ، ولا فى المناطق الداخلية الفسيحة .. مما جعل الحكومة البريطانية تطلب تمثيلا سياسيا لها فى بكين .. وفتح قنصليات لها فى المدن الداخلية .

ورفضت حكومة مانشو أن تسمح للممثلين الدبلوماسيين الأجانب، بالذهاب الى بكين لأنها رأت فى ذلك اذ لا لا لكرامتها أمام الشعب..

استفزاز وعدوان

ولم تنطق بريطانيا بهذا الرفض الذى يكس الأفيون فى الموانى ، وأمامه سبل مهياة فى الداخل والشمال .. فبدأت تجرى سلسلة من العدوان والاستفزاز .. دفعت شعب الصين الى مقاومة حكومة مانشو الحاكمة ، التى تراخت فى مقاومتها للمستعمرين ..

وبعد احدى المجازر البريطانية رفع الصينيون لافتات ، كتب على احداها كما جاء فى رواية أحد البريطانيين « ان حكمانا المتوحشين ظلوا حتى الآن صنائع اللصوص الانجليز فى جميع التصرفات التى قاموا بها ضد النظام والعدالة .. ففى الشهر القمري الخامس من هذا العام ذبح الأجانب كثيرا من الصينيين ، وطوحت جثثهم فى النهر ، ودفنوا فى بطون الأسماك ، ولكن المسئولين الكبار عالجوا هذه الشئون كأنما لم يسمعوا بها ، ونظروا الى هؤلاء الشياطين الأجانب كأنما هم آلهة .. واحتقروا الصينيين كأنما أجسامهم من لحوم الكلاب ، ولم يقدروا لحياة الناس قيمة أكبر من الشعر الذى يقص من الرأس وهم يصرون على جهل بما يجرى ، والتغاضى عن معالجة هذه الشئون بالاهتمام اللازم .. ان آلاف الناس يمثلون بالحزن والغضب .. وقد

سرى الأسى فى نخاع عظامهم .. وعزاؤهم الوحيد هو أن يعربوا عن
آلامهم فى الاجتماعات العامة » ..

حرب الأفيون الثانية

وبعد خمسة عشر عاما شنت بريطانيا متعاونة مع فرنسا « حرب
الأفيون الثانية » بين أعوام ١٨٥٦ - ١٨٥٨ ، واثتت باستيلاء بريطانيا
على نقط ارتكاز جديدة على شواطئ الصين .. وأرغمت الحكومة
الصينية على أن تقبل تجارة الأفيون فى بلادها نظير فرض ضريبة على
استيراده ..

.. من اللحظة الأولى

ومنذ ذلك التاريخ .. أى منذ قرن تقريبا .. والمنطقة التى تحتلها
بريطانيا ، هى أكبر مركز عالمى لتجارة الأفيون والمخدرات فى العالم ..
أبشع من تلتقى بهم فى هونج كونج .. هم ضحايا المخدرات ،
الذين تلمحهم على الأرصفة فى الشوارع ، وفى البيوت الفقيرة الرطبة
المظلمة ، والذين ينتهى المطاف ببعضهم فى سجن المخدرات للعلاج ،
والعودة الى الخارج من جديد .. ولكن ليجد نفسه مدفوعا الى الهوة،
عائدا الى المخدرات ..

الذين أثبتت الاحصائيات أنهم من صرعى الأفيون المدمنين يبلغ
عددهم ربع مليون ٢٥٠٠٠٠ من عدد سكان هونج كونج الذى
لا يتجاوز ٣ ملايين .. واذا استثنينا الأطفال ، والذين يقل عمرهم عن
٢٠ عاما لأنهم لا يملكون ثمن الادمان .. وجدنا أن هذه نسبة عالية
ومرتفعة ، لا تصل اليها أية دولة أخرى فى العالم ..

أول مكان دخلته في طريق البحث عن الأفيون .. كان سجن تاي لام
أو فيكتوريا ..

في سجن المخدرات

السجن لا يقع في جزيرة هونج كونج ، ولكنه في المنطقة السليبية
من الصين الشعبية ؛ يبعد عن المدينة حوالي ٢٠ كيلو مترا .. ومن بعيد
لا يحمل لك طابع السجن .

على مدخله التقيت بقائد السجن .. ضابط بريطاني برتبة القائمقام
.. يلبس القميص والبنطلون الشورت .. مبتسم حلو الحديث .. أول
ما قاله انه كان أسيرا لدى اليابانيين .

في هذا السجن ، الذي كان معسكرا من معسكرات اعتقالهم ..
ومضت بالضابط البريطاني الأيام ، حتى أصبح قائدا لسجن المدمنين.

على باب السجن لافتة كتب عليها .. ممنوع التدخين مطلقا بعد
هذا الباب ، .. ولا ترتفع حول السجن أسوار عالية ولا أسلاك شائكة
.. كل المساجين في حالة تخدير لا يتحركون .. السور كما قال مدير
السجن ضاحكا لمنع الدخول وليس لمنع الخروج !!

والى جوار مكتبه وتحت صورة الملكة اليزابيث ، بدأ قائد السجن
يروى في رشاقة قصة المساجين من صرعى الأفيون والهيروين والمورفين
والباربيتون .. وكأنه يحدثك عن مسرحية من تأليفه وإخراجة .. ويلعب
فيها دورا رئيسيا ..

قال : الهيروين يسيطر على ٨٥٪ من المدمنين ، وذلك لسهولة
تعاطيه .. ولأنه لا يحتاج الى جلسات طويلة مثل الأفيون .. وحكومة
مستعمرة هونج كونج تقاومه بالحد من استيراد حمض النوشادر

الذى يستخدم فى اعداده .. والأفيون كان قديما عادة اجتماعية يدعو فيها الرجل أصدقاءه الى داره للتدخين وتمضية السهرة .

وسجن المخدرات يتلقى المدمنين الذين يحكم عليهم بالسجن لمدة أقل من سنتين .. ويبدأ معهم علاجا ، يدفعهم الى التخلص من أثر المخدر فى دمائهم وعقولهم .. ويمنحهم فرصة التخلص من هذا الداء الرهيب .

مع المسجونين

كنت أسمع حديث قائد السجن ، ورغبتى جارفة فى مشاهدة المسجونين خلف القضبان .. أنهم جميعا من الرجال ، فان للنساء سجننا خاصا . ونسبتهم غالبا أقل من نسبة الرجال .. والادمان ينتشر غالبا فى أوساط العاهرات .

معظم المساجين يزيد عمرهم عن ٢٥ عاما .. لأن الذين تقل سنهم عن ذلك ، لا تتوفر لهم القدرة الشرائية على شراء المخدرات والادمان عليها .

أول مشهد شاهدته فى السجن للمساجين ، وهم جالسون القرفصاء فى طابور من أربعاء وأبصارهم منحدره الى الأرض .. وهم ينتظرون .. وجبة الغذاء .. وللوهلة الأولى تلاحظ أن الأفيون والهروين ، قد خربت عقولهم ودفعتهم الى عالم من التيه ، غامض بلا حدود .. الناس من حولهم غرباء ينظرون اليهم فى كسل ، لا تكاد جفونهم تنفرج عن عيونهم .

وكان هؤلاء من الذين أمضوا فى السجن ستة شهور تحت العلاج . اذن .. ماذا يكون حال هؤلاء الذين يصلون فى مراحلهم الأولى .. وهم صرعى تماما لهذا التخدير .

مرض الادمان

ودخلت مستشفى المستجدين الذين حضروا الى السجن منذ أيام .. انهم ينامون على مراتب على الأرض .. والسجن لا يحرمهم المخدرات دفعة واحدة .. انه يقدمها لهم بنسب أقل ومن أنواع أخرى ، لأن المنع المفاجيء يحدث صدمات عصبية شديدة ، ويجعل العلاج أمرا عسيرا . وهؤلاء الراقدون أقرب الى الموتى .. أنهم لا يكادون يشعرون بشيء .. تجولنا بينهم ولم يكلف أحد خاطره بالنظر اليها .. أنهم يعيدون اليهم الحياة ، تماما كما يعيدونها للموتى عندما تتوقف قلوبهم في غرفة العمليات تحت البنج .

منع الدخول

والاستشفى يضم نوعا آخر من المرضى .. هؤلاء الذين أضعف المخدر أجسامهم وترك للأمراض الأخرى فرصة التسرب الى أجسامهم ، وافتراس حيوياتهم .. وأكثر هذه الأمراض انتشارا هو السل .. انه يكاد يصيب معظم المدمنين .

ومرضى السل يعالجون من مرضهم في عابر نظيفة يشرف عليهم طبيب هندي له لحية سوداء ثامية ، ويقلد الانجليز ، يلبس قميصا أبيض بنصف كم ، ويلبس معه البايون 1.

وقد روى لنا الطبيب أن بعض المدمنين الأوروبيين أو الأمريكيين يصرخون ويضربون الحائط عند شعورهم بأن المخدر سوف يمنع عنهم .. أما المدمنون من الصينيين فانهم ينهارون ويتأوهون كالكلاب الجريحة .. وهو يعلل ذلك بافتقار الآخرين الى التغذية .

عمل تدريجي

وبعد الفترة القاسية الأولى ، يتحول السجين الى الأعمال الخفيفة .. شاهدتهم يعملون في ورش خشبية صغيرة .. وفي بعض الأعمال اليدوية .. ويسمح لأصحاب الاتجاهات الفنية بالرسم أو النحت .

ولكنهم لا يستمرون دائما في هذه الأعمال الخفيفة .. انهم يدفعون بهم الى أعمال عادية ، يمارسها الأصحاء من الرجال ، بعد فترة طويلة .. حتى يشعر السجين منهم بكيانه الاجتماعي .. وانه فرد من المجتمع يستطيع أن يباشر أعماله ، وينعم بحياته .

وفي المرحلة الأخيرة يتحول المدمن الى سجين عادي .. يعطى محاضرات تبث الأمل في نفسه ، وتجعله أكثر اقبالا على المجتمع ، وأكثر ايمانا بالانسانية .

وفي السجن سجل خاص للمدمنين من يوم دخولهم الى يوم خروجهم .. واستطعت أن أحصل على صورة واحد منهم كان وزنه عند دخول السجن يوم ٢٣ يناير من هذا العام ١١٠ أرطال وبعد تمضية حكم السجن الصادر عليه وهو ثمانية أشهر خرج في ٢٤ يونيو ووزنه ١٤٤ رطلا أي بزيادة ٣٤ رطلا .. ويلاحظ أنه لم يمض الشهور الثمانية كاملة ، لأنه يفرج عن الذي يعبر مرحلة الادمان ، ويصل الى مستوى فكري يبعث على الاطمئنان ..

المدمنون في الخارج

غادرت السجن ووجوه المدمنين تلاحقني ، عيونهم الذابلة ، ونظراتهم اليائسة .. أجسامهم المعروقة وأعصابهم المخدرة .. صمتهم المريب وحياتهم القاسية .

وخرجت أبحث عن أسرار المخدرات في المدينة التي انطلقت منها
قوات بريطانيا للحرب مع الصين مرتين باسم « حرب الأفيون » ..
وكان في ذهني دائما هذا الحديث القصير مع مدير السجن
البريطاني ، عندما سأله .

— من أين تأتي اليكم المخدرات ؟..

— من الهند وتايلاند .. وأحيانا من فرموزا .

هل يأتي لكم شيء من الصين الشعبية ؟..

— وقال الضابط في حيرة « لا أظن » ..

والحقيقة أنه أمر يصل الى مرتبة السحر . عندما تتخلص الصين
الشعبية من آفة الادمان .. وهي الساحة التي كانت توجه اليها هذه
التجارة .. وهي هدف تجار المخدرات .. لا أحد هناك يدخن الأفيون.
ولا أحد يقع صريعا للمخدرات .. بينما هونج كونج التي لا يصل
سكانها الى واحد من مائتين من سكان الصين ، لاتستطيع التخلص من
هذه الآفة .

أسرار وراء الأفيون

الأفيون والهيروين في هونج كونج مثل كل تجارة ، له تنظيم
واحتكارات .. يسيطر عليها أصحاب الملايين .. وعندما أغلقت في
وجوههم أبواب الصين الشعبية .. اتجهوا الى تدمير سكان هونج كونج
.. وخاصة ، الذين يعيشون حياة بائسة تعسة بلا عمل ولا أمل ..
يكسبون نقودهم من أقدر الأعمال ، لتتحول الى دخان وضباب يغشى
العقول ..

وقد دلت الاحصائيات على أن من بين ١١ر٤٧١ مدمنا سجينا عام ١٩٥٨ كان هناك ٦٨٠٣ عاطلين .. وأنه من بين ٣٩٢ مدمنة كان هناك ١٣٣ عاهرة و ١٠١ امرأة عاطلة ..

ولا يقتصر نشاط تجار المخدرات على هونج كونج .. أنها مركز توزيع عالمي .. ترد اليها المخدرات من أماكن زراعتها في بعض بلاد الشرق البعيد وخاصة تايلاند .. ثم يعاد تصديرها الى بلاد العالم المختلفة .. بل أن ما يصل عندنا في الشرق الأوسط يرد اليها من هونج كونج ..

الحكومة تبارك الادمان

وحكومة مستعمرة هونج كونج تغرق الزائر بنشرات تؤكد فيها أمام الرأي العام العالمي انها تحارب المخدرات ادمانا وتجارة .. ولكنها في الحقيقة لا تتخذ خطوة ايجابية حاسمة نحو منع ذلك .. أحكام السجن لا تصدر الا على الذين يعادون أجندة الحكومة .. لأن الجنود هناك مرتشون وليس لغزا أن يعرفوا كل شيء في هذه المنطقة الصغيرة .. ولكنهم يعرفون كل البؤر ثم لا يفعلون لها شيئا .. والميناء والمطار مفتوحان لتدفق المخدرات .. والسجن النظيف اللامع الذي زرته يعالج ألفا أو ألفين .. ويترك خارجه مئات الألوف بلا مسكن .. ولا عمل .. تدفعهم الحاجة والجهالة والهروب من الواقع الى هذه الهاوية السحيقة .

كل شيء هناك في هونج كونج يشير بأصابعه الى المستعمرين القادمين من انجلترا التي تعتبر مثالا للرقى ، والذين لا يتورعون في سبيل تحقيق أطماعهم من تدمير الشعوب عن طريق المخدرات والأفيون والهيروين .

تايلاند

- * منظمة (السياتو) تتمزق !
- * رئيس وزراء تايلاند يهاجم المنظمة في عيدها السابع .
- * منبع الذعر الذى تثب منه الشياطين الى تايلاند .
- * الشعب الذى يتسم وهو يقاسى تعاسة الحياة .
- * الشاى والطعام المحفوظ والكوكاكولا تقدم الى روح بوذا .
- * من قمة الحضارة الى بدائية القرون الأولى .. فى لحظات .

عندما أقبلت الطائرة على تايلاند ، وأشرفنا على العاصمة بانكوك،
طلب قائد الطائرة أن نربط الأحزمة استعدادا للهبوط ، نظرت من النافذة
فرأيت أشعة الشمس ، ترتد لنا من الحقول ، التى غمرتها المياه . كانت
السماء صافية بلا سحب .. ولم تكن هناك أمطار .. ولكن المياه كانت
تبدو عميقة فى القنوات والأنهار ، وضحلة فى الحقول ..

وفى بانكوك أيضا .. كانت أشعة الشمس تتسرب من مياه تنتشر
فى كل مكان ..

وسألت راكبا من أبناء تايلاند فقال لى :

— انه الأرز فى كل الحقول .. وهى قنوات المياه فى معظم شوارع
بانكوك .. انك تقبل على (فنيسيا الشرق البعيد) ..

وقلت فى بساطة :

— أى بلاد الغرب ، استعمرت تايلاند .. وما هى قصة كفاحكم مع الاستعمار ؟ ..

وانتفض ابن تايلاند ، وهو يقول :

— ان بلادنا عاشت حرة منذ فجر التاريخ . . لم تستعمرنا دولة غربية ولا شرقية .. حدثت حروب قليلة مع بعض الدول المجاورة مثل بورما .. ولكنها دائما كانت تنتهى الى سلام .. وكنا دائما أحرارا .

وابتسمت للراكب ، وعجلات الطائرة تلامس الأرض .. وأنا لا أكاد أخفى دهشتى من هذه المعلومات وقررت أن أقرأ كثيرا عن بلاد الشرق البعيد .. حتى لأنسأل مثل هذه الأسئلة الساذجة .

اذن .. نحن نقبل الآن على بلد لم يعرف الاستعمار فى تاريخه .. ويتميز بطبيعة فاتنة تجعل من عاصمته (فينيسيا الشرق) ..

وغادرنا جو الطائرة المكيف الهواء لنلتقى بجو لزج ثقيل .. الحرارة فيه تشع من الأرض ، وتهبط من السماء .. وأصبح التنفس عملية عسيرة .. الأنفاس تتحشرج فى الصدر .. والزفير يخرج كاللهيب ..

ولكن الناس تبسم .. والمطار حديث البناء .. وفيه تكييف للهواء . وتلفت الى اليمين فوجدت مكتبا ترتفع عليه لافتة تقول (مكتب تشييلات القوات الجوية الأمريكية) ، وفيه جنود من الأمريكيين .

تايلاند اذن تحمل فوق أرضها قوات أمريكية .. وبانكوك العاصمة هى مقر رئاسة حلف جنوب شرقى آسيا ..

أى دول يضمها هذا الحلف الذى يسمى (السيأتو) اختصارا لحلف جنوب شرقى آسيا .

انه يضم دولتين فقط من آسيا هما تايلاند والباكستان .. ثم الفلبين

واستراليا ونيوزيلند .. وبعد ذلك يضم من الغرب البعيد الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا .

وتصادف أنى وصلت الى بانكوك . ومنظمة (السيأتو) تحتفل بالعيد السابع لانشائها ..

وعندما يحتفل (السيأتو) بعيد مولده السابع .. فان تايلاند كلها يجب أن تشارك فى الاحتفال .

وفى الطريق من المطار الى الفندق .. كانت أعلام الدول الثمانى أعضاء الحلف ترتفع فوق أكثر من مكان . مقر قيادة الحلف ، ثكنات الجيش ، كلية الهندسة التى تتبع الحلف بعض مبانى الحكومة . ولكن حلف (السيأتو) يمر بأزمة خطيرة تهدد كيانه ..

حلف (السيأتو) يتمزق

وظهرت معالم هذه الأزمة فى خطبة رئيس وزراء تايلاند .. الذى قال : ان هذه الذكرى السابعة تؤكد أن (السيأتو) لا يقدم للدول الأعضاء خدمات نافعة .. بقدر ماتبذل له هذه الدول من اخلاص ..

والأمر الذى يزعج حكومة تايلاند .. وهى حكومة عسكرية يرأسها الفيلد مارشال (ساريت تهاتارات) الذى قاد انقلابا عسكريا فى ٢٠ أكتوبر ١٩٥٨ . هو أن الموقف السياسى فى لاوس لم يتحدد بعد .

ولاوس هى منبع الذعر الذى تثب منه الشياطين الى تايلاند .. القوات اليسارية التى يرأسها الأمير سوفانا يونج ، والقوات المحايدة التى يرأسها الأمير سوفانا فوما .. تعكس أثرا فكريا بالغاً على شعب تايلاند الذى يطلب التحرر من قيود الأحلاف العسكرية .

وشعب تايلاند يحب السلام تماما مثل شعب لاوس .. وهو لم يخض فى تاريخه حروبا مدمرة .. وهو يؤمن ايمانا عميقا بالبوذية التى تعادى الحرب وتكره العدوان وتنفر من الدماء .

مع وزير الخارجية

وقد أتيت لي فرصة مقابلة وزير خارجية تايلاند مستر تهانات
خومان .

التقيت به في داره التي تجمع أكثر من فيلا في حديقة واحدة ..
والوزير تخرج في الجامعات الفرنسية وهو من رجال المدرسة
الدبلوماسية التي تحرص على أن تكون الكلمات دائما ناعمة وغير
حادة .. والذي يؤمن بأن العملة الواحدة لها وجهان .

وسألت الوزير الذي كان سفيرا في الولايات المتحدة عن أثر خطبة
رئيس الوزراء ، وعن نية تايلاند في الخروج من حلف (السياتو) .
وقال الوزير في لباقة .. (اننا نراجع أعمالنا سنة بعد أخرى ..
ونحن لاننوي أن نترك الحلف حاليا .. ولكن ربما فكرنا في ذلك ..)
واستطرد قائلا (اننا نوفي بكافة الالتزامات .. ولكننا لانستفيد
شيئا .. ولهذا فان مجلس الوزراء يبحث ارتباط الدولة بمنظمة
السياتو) التي قال عنها أنها درع للغزو وللدفاع وهي لا تنوى
الاعتداء .

وعندما سألت الوزير في صراحة

ـ هل تتوقع غزوا من الصين ؟

كانت الاجابة

ـ نعم ولا .. من الناحية العسكرية أمر بعيد الاحتمال .. ولكن
هناك غزو سياسى بالأفكار .

وعندما تحدثنا عن عدد أعضاء الحلف ، قال الوزير (ان العبرة في
عدد أعضاء الحلف بالكيف وليس بالكم) ..

ومن كل هذه الظواهر ، تستطيع أن تحكم بأن حلف جنوب شرقي

آسيا ، الذى ترعاه دول حلف الأطلنطى .. ليس الا حلفا هزيلا ، لا تربط
أعضائه وحدة فكرية ولا سياسية .. والدول المشتركة فيه جميعا
تفصلها عشرات الألوف من الأميال ، وبحار شاسعة .

(السياتو) يتمزق ، لأن هناك عوامل متنافرة تتنازع من كل
جانب ، الموقف فى لاوس وايمان شعبها بالحرية والسلام المطلق ..
التنافر الواضح بين دول الحلف فى الأهداف والآمال المشتركة .. رغبة
شعب تايلاند فى التحرر من الأحلاف والتمتع بالاستقلال الكامل غير
المنحاز .. سخرية دول جنوب شرقى آسيا من هذا الحلف المندثر ايمانها
جميعا من بورما الى الملايو الى كمبوديا الى أندونيسيا الى الهند
بمبادئ عدم الانحياز .

وقد رحبت تايلاند بدخول الجيش اليابانى فى الحرب العالمية
الثانية .. ثم انحازت بعد ذلك الى المعسكر الغربى ، وارتبطت مع
أمريكا ، بمعاهدة دفاعية .. ثم أصبحت بانكوك مقر رئاسة الحلف
العسكرى الجديد .

ولعل هذا يوضح نوعا طبيعة حكام تايلاند .. انهم يعرفون أن
الشعب يطلب السلام .. وانه يؤمن بالبوذية المسالمة ايمانا عميقا ..
ومن أجل هذا يتعاونون مع العدو ، ويسلمون اليه مقاليد الأمور فى
سلام أيضا .

والبوذية هى دين الأغلبية العظمى من سكان تايلاند .. ولعلها
أكثر بلاد العالم رهبانا ومعابد .

بانكوك وحدها تضم ٤٠٠ معبد بوذى .. ومعظم الشباب فيها
ينضمون الى سلك الرهبان لمدة ثلاثة شهور .. تكون هى شهور الأمطار .

والكهنة فى تايلاند يلبسون (عباية مشمشى وصندل ، والكثف
اليمنى عارية .. ويحملون كيسا من القماش تكون فيه غالبا مأكولات .

والكهنة لا يحق لهم العمل واكتساب الرزق .. و لا يحق لهم التسول أيضا .

ولكنهم يتقبلون الصدقات والاعانات .. ذلك لأن البوذيين جميعا، يهرعون الى معابدهم وهم يحملون المأكولات والمشروبات ليقدموها الى روح بوذا .

في معبد بوذى

ذهبت الى أحد المعابد البوذية في بانكوك .. وهى تتميز بهندسة خاصة طليت قبابها بالذهب ، الذى يعكس ضوء الشمس الحلو .

وفى ساحة المعبد .. بجوار قصور الملك التى خصصت للاحتفالات ومراسيم الجناز .. توجد بعض الأسر التى تجتمع فى جماعات صغيرة ، تجلس فى حلقات ، ومعها الأكل والشرب ، وتقرأ التعاليم البوذية .. حتى الأطفال الصغار يدرّبون على ذلك وهم لم يصلوا بعد الى سن العاشرة .

واقتربنا من المعبد .. وخلعنا الأحذية .. وأضأنا شمعة وضعناها على الباب فى ضوء النهار .. وصعدنا درجات .. ودخلنا معبدا يشبه المسجد فرش بالحصير .

ثلث هذا المعبد أحيط بحاجز قصير .. وارتفعت فيه التماثيل ، واختفت فيه صناديق كبيرة ، خلف قماش من حرير ثمين .

وثلث المعبد الآخر .. تناثر فيه الرجال والنساء والأطفال ، حضروا جميعا لصلاة فردية بلا موعد .

لم يحضروا وحدهم .. وانما حضروا ومعهم الطعام والشراب .. الشاي والفاكهة والخبز والجبن والعلب المحفوظة وزجاجات الكوكاكولا

وتستمر زياراتهم متصلة طوال اليوم .. البعض يقبل والبعض يذهب .. والمعبد مفتوح والرهبان يتلقون الصدقات .

وهى عقيدة دينية أن يترك الناس حول تمثال بوذا ألوانا من الطعام والشراب .. لاعتقادهم أن روحه سوف تقبل في الليل وتتناول هذا الطعام .

وفي بيوت الأثرياء .. شاهدت تماثيل خاصة لبوذا وحولها ألوان مختلفة من الطعام .

والرهبان ينتشرون في بانكوك انتشارا غريبا .. يلبسون زياموحدا ويتدربون في المعابد على ضبط النفس والصبر والابتسام .

ولذا فانه يصعب عليك أن تشهد مشاجرة في الشوارع .. ولن تسمع مناقشة عنيفة .. وعلى كل الوجوه ترسم ابتسامة وديعة .. جعلت هذا الشعب يشتهر باسم (الشعب الباسم) .

هذا الشعب الباسم يعاني في الحياة معاناة شديدة .. فانه الى جوار الحر الذي يثقل الصدور ، ويشير الأعصاب يعيش معظم أهالى تايلاند في حالة (فقر غير انساني) .. لمستته فورا ونجن في الطريق من المطار الى « لوكاندة راما » التي يمكن مقارنتها بأحدث الفنادق في أعظم العواصم .

الطريق لا يتجاوز ٣٠ كيلو .. ومع هذا قطعناه في ساعة كاملة .. لأن زحمة العربات كانت ملحوظة ، ولأن الشوارع كانت ضيقة وبعضها فيه اصلاح .

على جانب معظم الشوارع في بانكوك توجد قنوات وترع صغيرة .. الماء فيها راكد تقريبا ، ولونه يكاد يكون في لون التراب ، والدور معظمها من الخشب .. والناس عرايا من الحر والفقر معا .. والنظافة لن تعثر لها على أثر في هذه المحلات التي تنتشر على القنوات والترع ، وحولها القاذورات متناثرة .. التي لاتحجب الشمس ولا المطر ..

كل هذا يضع الانسان فى مأزق ..

ربما كان فى معظم العالم فقر وضيق .. ولكن الانسان يمكن أن يستريح فى ظل شجرة .. ولكن هناك لابد وأن يعانى ، فانه من الصعب أن يستريح .

السوق العائم

وتبلغ أنفس صور الانسانية .. فى هذه المنطقة التى يحملون اليها السياح .. والتى تسمى (السوق العائم) .

الناس فى السوق العائم لايتصلون بالعالم الا عن طريق الترع والقوارب .. منازلهم من خشب قديم على ترع صغيرة خارج المدينة ، ومن خلفهم الغابات بكل ما فيها من حيوانات و ثعابين .. وغصون أشجارها تتعاق مع المياه .

وكل شئ فى هذه المنطقة يعتمد على القوارب .. التجار يحملون بضائعهم فى قوارب ويمرون على الدور والناس يركبون القوارب للشراء من بعض المحلات الثابتة ..

والمياه الصالحة للشرب معضلة كبيرة فى هذه المنطقة التى تتدفق فيها المياه من السماء ، وتكثر فيها الترع .. ذلك لأن مياه الترع فى غاية القذارة ، اذ تتسرب اليها كل الفضلات .. والناس يشترى المياه الصالحة للشرب التى تمر عليهم فى قوارب أيضا .. وبعضهم يحجز مياه الأمطار فى براميل كبيرة ويشربون منها .. وهكذا تنتشر بينهم الأمراض وليس للناس فى هذه المنطقة الكبيرة مهنة معروفة يعتمدون عليها فى حياتهم .

ورغم الحشد الهائل من الناس فى مكان ضيق .. فان الهدوء سائد دائما لاتسمع أصواتا عالية ولا مشاجرات من أى نوع .. الأطفال فى

البوت يتكاثرون كالذباب .. وهم عرايا ولكنهم لا يصرخون .

والسوق العائم صورة فريدة تتميز بها (تايلاند) .. ومن أغرب ما لاحظته أن هناك محطات للبنزين تزود اللنشبات بالوقود .. وأنه يمكنك أن تلاحظ لمحات من الغرام بين ركاب القوارب والراكبات .. وأن ثمار الفواكه ضعف حجمها الذي نعرفه هنا في القاهرة ..

وغادرت السوق العائم ، ونظرة الناس الشاردة تلاحقني .. وأجسامهم المعروقة لاتضيع عن عيني .

انك في تايلاند تنتقل من قمة حضارة القرن العشرين الى بدائية القرون الأولى .. من الفنادق المكيفة الهواء التي تنعم فيها بكل شيء .. الموسيقى وحمام السباحة وصالات اللعب والأجهزة الأوتوماتيكية ونوادي الليل .. الى الحياة التي كان يعيشها الانسان منذ أكثر من خمسة آلاف عام لم يتغير فيها شيء ولم يتبدل .

وتايلاند لا تعرف من الرقص الا النوع التقليدي الذي أصبحت له قواعد ترتبط بتاريخ البلاد .. ولكنهم لا يعرفون المسرح الدرامي ، وليست لهم فرق كاملة للرقص الشعبي .. مازالوا يعتمدون على عدد محدود من الراقصين والراقصات .. ودور السينما منذ حلف (السياتو) وهي تعرض أفلاما انجليزية وأمريكية بعد أن كانت أكبر نسبة من الأفلام التي تعرض فيها يابانية .

وحياة الليل في تايلاند مظلمة ، الا من الكباريات التي تشجعها القوات الأمريكية وبعض السياح من الأجانب .

وتأخذك الدهشة في هذه البلاد من كثرة فتيات الليل وانتشار الدعارة ، وكثرة عدد الذين يرتبطون بهذه التجارة .

وقد سمعت أن هناك تنظيمات احتكارية واسعة هي التي تدفع الفتيات الى تجارة الجسد ، وتكسب من وراء ذلك ثروات طائلة .

وقد همس في أذنى أحد رجال الفندق الحديث الذى نزلت فيه
قائلا ، ان هذه الصورة الفاضحة التى تراها لمجتمعنا حديثة علينا ..
منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية .. ونحن نعانى معاناة شديدة من
تصرفات الأمريكيين الذين يشترون كل شيء بالدولار حتى الشرف .
وقد تحولت رغبات شعب تايلاند فى المرح والانطلاق .. الى انحلال
فى المدن .. وبؤس فى الغابات والحقول .

ورجال السلك الدبلوماسى يعيشون حياتهم فى سهرات متبادلة ،
يذهبون الى النادى الوحيد فى المدينة ونادرا ما يجدون مكانا مناسباً
لتمضية سهرة عامة .

قضيت ليلة هناك فى دار سفيرنا السيد محمد السبكى .. وكنا
نجلس فى الشرفة وتحت أقدامنا شيء يحترق مثل البخور يمنع الناموس
من الاقتراب .. هذا من الوجهة النظرية فقط أما الحقيقة فان لدغات
الناموس قاسية مثل لدغة العقرب .

وقدمت لنا السيدة حرم السفير أنواعاً من الفاكهة حلوة المذاق ،
ولا نعرفها فى القاهرة مثل المانجوت والرامبونان والبابايا واللاميا ..
ولم نعرف الموز لأنه مثل الشمام عندنا ..

وفى سهرتنا مع السفير وحرمة علمت أن أحدا من أبناء الجمهورية
العربية المتحدة لم يقض فى تايلاند هذا العام .. الا وقفات العبور ..
وان هناك عددا كبيرا من المسلمين يعيش فى الجنوب على حدود الملايو
المسلحة .

وهذه البلاد رغم أنى قضيت فيها أياما عابرة .. الا أنى شاهدت
فيها ألوانا جديدة من حياة البشر .

والسائح الذى يذهب الى أوروبا كل عام لا يرى من العالم
الا صورته الفاتنة ووجهه الجذاب .

أما هذه البلاد فى الشرق البعيد فانها تستحق من كل صاحب مقدره
أن يتجه الى هناك ، ليرى الانسان وهو يقاوم قسوة الطبيعة ومصاعب
الحياة ..

لقد عدت من تايلاند .. وأنا أشعر أن بلادى هى جنة الأرض ..
الحر عندنا نسيم عليل .. والطبيعة لا تفترس الانسان ، ولا تطلق فى
أثره الذئاب والنمور وثعابين الكوبرا .. والمطر لا يحول الأرض الى
بحار من طين يخوض الانسان فيها الوحل حتى ليعجز عن المسير ..
هذه البلاد فى الشرق البعيد .. أصبحت تغرينى بزيارة طويلة
أتعرف فيها على هؤلاء الذين أمضيت معهم أياما .. وعدت من عندهم
وفى قلبى عطف عليهم وحسرة .. أذكر وجوههم الوديعه وأجسامهم
المعروقة الهزيلة .. وبسمتهم التى لا تغيب .

غرائب فى تايلاند

✽ تايلاند بلد يعتمد على الزراعة اعتمادا كاملا .. لا يوجد به الا
نوعان من الصناعة .. الأسمنت والصابون فقط ..

✽ الشمسيات هى التى تحدد المستوى الاجتماعى للفرد .. كلما
زاد عدد طبقاتها دل ذلك على ارتفاع مستوى حاملها .. شمسية الملك
من ٨ أدوار .

✽ الموز هناك له أكثر من ١٠٠ نوع .. وهو يباع طازجا أو مشويا
أو على هيئة خبز .

✽ ثعابين الكوبرا تنتشر فى تايلاند وتشاهد أحيانا فى الشوارع
.. يؤمن الأهالى بأن من لا يتعرض لها لا يصيبه منها أى ضرر .

✽ غيرت سيام اسمها الى تايلاند .. لأن سيام تعنى «أرض السود»
وتاييلاند « أرض الأحرار » .

✳ الققط السيامية هي أشهر أنواع الققط في العالم .. ولكنك اذا جبت تايلاند من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب .. فانك لن تجد قطة سيامية واحدة .. وهكذا ينطبق المثل « الصيت ولا الغنى » ..

✳ مصلحة السياحة أصدرت بيانا عن عدد الزوار والأجانب الذين زاروا بانكوك خلال عام ١٩٦٠ .. الدولة الوحيدة التي كتبتها في هذا البيان من دول الشرق الأوسط هي اسرائيل .. والغريب أن أحدا من اسرائيل لم يصل الى هناك ..

✳ ملك تايلاند عازف عالمي على الجيتار .. سجلت له أسطوانات لا تباع في السوق .. وانما توزع على الخاصة فقط .

بين الارجواز وخيال الظل في تايلاند

الذين يزورون بلاد الشرق البعيد .. يلمسون أن الفنون فيها عريقة القدم ، وانها تتصل بالدين ، وترتبط بالأساطير .. وتعيش مع الناس في تقديس جيلا بعد جيل . الرقص ليس عملا من أعمال الاثارة .. لا يحرك الغرائز ، ولا تكشف فيه الراقصات عن أجسامهن .. والمسرح يروي أساطير التاريخ ، وأمجاد الشعب ، فيبتعد عن الاسفاف والابتذال .. والموسيقى تحمل نعمات الماضي ، لا تتحرر منها وتجري وراء الروك اندرول .

وفي « تايلاند » التي كانت تعرف باسم « سيام » .. وبدلت لأن سيام تعنى « أرض السود » وتايلاند « أرض الأحرار » .. أقول في تايلاند تنهض رقصات تقليدية تمتد كلها الى جذور تاريخية .

رقصة الشموع مثلا التي تحمل فيها الراقصات شموعا مضيئة ، يتحركن بها حركات رشيقة ، دون أن ينطفئ نورها الذي يتسلط دائما

على وجه الرقصات .. كانت تقدم فى المعابد أثناء الصلاة .. ثم انتقلت الى القصور .. وأخيرا كتبت لها أشعار جديدة على الوزن القديم .. وهى رقصة نبت فى الشمال .

ورقصة « دافادونج » الرشيقة ، أخذت من صلاة المسلمين ، ولهذا قدمت الى بانكوك من الجنوب .

ورقصة « رام وونج » هى الرقصة الشعبية المحبوبة عند سكان تايلاند .. ولذلك اهتمت الحكومة هناك بتطويرها ، حتى يرقصها الفتيات والفتيان ، وينمو التعلق بها .. وألفت من أجلها الأغنيات العاطفية الحديثة .

هذه الرقصات وغيرها ، شاهدتها ليلة وصولى الى بانكوك .. قدمت لنا « فرقة الرقص التقليدى » رقصاتها فى صالة الفندق .

الفتيات يلبسن ٣٤ قطعة من الحلى والملابس من الخلخال فى القدم العارية الى التاج الفضى المدبب فوق الرأس .. الى الزهور التى تتدلى حول الأذن الى غير ذلك من المجوهرات والملابس .. التى تتغير أو تقل أو تزيد تبعا لاختلاف الرقصات .

حركات الرقصات رشيقة هادئة على نعمات الأوركسترا الذى يجلس على الأرض ، ويتكون من خمسة أفراد ، يلبسن قمصان بيضاء .. بينما قائد الفرقة يلبس (جاكيت) كحليا ، وربطة عنق حمراء . وآلات الأوركسترا بعضها يشبه البرميل .. ومنها الناي الذى نعرف نعماته عندنا فى الريف .. وأنغام الأوركسترا تبدأ هادئة ثم تزداد عنفا ، حتى تبلغ قمتها فى رقصات الحروب ، التى يلبس فيها الراقصون أقنعة على الوجوه من الحديد .

وقائد الفرقة يقدم الرقصات واحدة بعد أخرى .. عندما تنسحب الرقصات لتغيير ملابسهن .. اذ أنه أمر يكاد يبلغ مرتبة التقديس ..

أن تقدم كل رقصة بملابسها الخاصة .. لأنها دائما تعبر عن فكرة أو امتداد لتاريخ .

وعندما تنتهى الرقصات التى تبعث فى النفس الهدوء . . وتعطر الروح بجمال التعبير ، تسجد الراقصات أمام المتفرجين .. ثم ينهضن وينسجبن فى رشاقة .. ولا يعدن مهما اشتد التصفيق .. ولا يرتفع عنهن الستار من جديد .

ذهبت الى الفرقة فى الكواليس .. ورأيت معهن سيدة عجوزا ترعاهن وتساعدهن على اللبس والاستعداد .

وقدما لى مدير الفرقة على أنها مدربة الفرقة ، التى تلتقط الراقصات من الأقاليم .

انها تنتخب لرقصات الشمال .. فتيات من الشمال ، وتنتخب لرقصات الجنوب ، فتيات من الجنوب .. ورقصة العاصمة بناتها من العاصمة .

وهى فى الستين من عمرها ، ولكنها عرفت الرقص فى العاشرة .. ومن حديثى معها الذى كان يترجمه مدير الفرقة .. عرفت أنها تعيش مع الفتيات فى مكان واحد .. لا تسمح لهن بالاختلاط مع الرجال .. ولا تصرح لهن بالذهاب الى السينما .. تأخذهن معها الى معابد بوذا التى تنتشر فى كل مكان .. وتبلغ فى بانكوك وحدها ٤٠٠ معبد .

بين الأرجواز وخيال الظل

وتايلا ند لا تعرف المسرح الحديث .. والصلة بينها وبين الآداب الحديثة تكاد تكون مقطوعة ..

ومن هنا لا تعرف تايلا ند الا نوعين من المسرح هما أقرب مايكونان الى الأرجوز وخيال الظل .

والمسرحيات القريبة من الأراجوز تسمى « الهون » وهى تترجم الى « النماذج » .. وهى لون من ألوان مسرح العرائس .. ولو أن العرائس قد ترتفع أحيانا الى متر كامل ..

وقد تحولوا بهذه المسرحيات الى الاتجاه الحديث وتخلصوا من قيود الماضى السحيق . بدأوا يدخلون عليها ألوانا من الفكاهة الحديثة حتى تجذب جمهور المتفرجين .. وقصة المسرحية تروى بالغناء مع الكورس والموسيقى .. وتحرك النماذج لتتوافق حركاتها مع الكلمات « والنونج » وتترجم الى « الجلد » أو « الاختفاء » .. ولكنها صورة من صور خيال الظل عندنا .. وقد تخلى هذا اللون من الفنون عن نصائح الدين ، وتعاليم البوذية التى كان يعتمد عليها .. وأخذ يعبر عن روح الفكاهة التى يسعد بها المتفرجون .

وبين الأراجوز .. وخيال الظل .. يتأرجح الناس فى تايلاند .

مسرحيات « الخون واللاخون »

وتوجد فى تايلاند ألوان من الدراما القديمة ، كادت تندثر ولم تعد لها مسارح خاصة مستديمة .. وانما تقدم أحيانا فى المناسبات الهامة .

وهى تنقسم الى نوعين « الخون » وهى عريقة فى القدم .. كانت ترتبط بحفلات تنويع الملوك .. ولكنها تحلت حتى أصبحت لونا من ألوان التسلية فقط .. ويلبس فيها الممثلون من الرجال أقنعة تظهر أدوارهم بطريقة مباشرة .. ونادرا ما يلعب النساء أدوارا فى هذه المسرحيات ، اذ كثيرا ما يلعب الرجال دور النساء .

والخون تنسج من رقصات تحتاج الى مرونة شديدة .. ولذا فانه لا يمكن للممثل أن يظهر على المسرح قبل تدريب رياضي عنيف ، يمتد على الأقل لمدة عام كامل .. ومن أجل هذا نادرا ما تظهر النساء على المسرح .

ويزداد الاعتماد في هذا اللون من المسرحيات على « الباتومييم » أو التمثيل الصامت .

أما في النوع الثاني الذي يسمى « اللاخون » .. فان الممثلين لا يلبسون الأقنعة الا اذا كانوا يمثلون أدوار الملائكة والشياطين أو الحيوانات مثل القروود .

وقد يقوم بعض الممثلات بأدوار الرجال .. رغم أن النساء لم يظهرن على المسرح اطلاقا قبل قرنين من الزمان .

وهناك خلاف آخر بين « الخون » و « اللاخون » .. هو أن الحوار في الثانية يعتمد على الغناء .. وعندما يقوم الكورس بالغناء ، يقوم الممثل ببعض حركات « الباتومييم » ثم يتابع الحوار بنفسه عندما يتوقف الغناء .

هذه الصورة السريعة التي قدمتها لك عن فنون (تايلاند) شاهدتها في الليالي التي قضيتها هناك .. وكلى احساس بأن رقصهم التقليدي مازال يحتفظ بطابع رشيق ، يجذب الذين يقصدون الفن الصادق .. أما الأراجوز وخيال الظل والمسرحيات الكلاسيكية .. فلا شيء فيها يجذب الانسان أو يثير فيه الشهية الى متابعة الأعمال الفنية.

وبعد .. فان الشرق البعيد .. بعيد فعلا عن كل ما يتصل بتقدم الفنون وتطورها ..

اليابان أكثر الدول إنتاجاً للأفلام

ربما كانت طوكيو أكثر بلاد العالم استخداماً لأنوار النيون .. واجهات المحلات في الشوارع الرئيسية تشع منها الأضواء .. والاعلانات تنتشر في كل مكان .. تطفأ وتضاء في جنون وتستخدم كل وسائل الفن والاغراء .. وأضواء طوكيو تعلن عن أنها مدينة من مدن الليل التي يستطيع فيها الانسان أن يقضي السهرة في أكثر من ميدان من ميادين الفنون ..

واليابان تهتم بالفنون منذ أقدم العصور .. فالبلاذ مشرقة بجمال الطبيعة ، وأهلها عاطفيون .. والحكومات هناك تشجع الفنون .

وفي يوم ٣ نوفمبر من كل عام ، تحتفل البلاد بعيد وطني يسمى (يوم الفن) أو يوم الثقافة .. وهو عيد وطني بدأت الاحتفالات به عام ١٩٤٦ ، أى في العام التالي لانقضاء الحرب العالمية الثانية مباشرة .

وتنظم المهرجان لجنة يختارها وزير التربية .. اذ ليست هناك وزارة للثقافة .. وتشترك اللجنة في وضع برنامج العيد مع الهيئات الفنية المختلفة .. كما انها تقيم مهرجانات مسرحية وسينمائية ومعارض للفنون التشكيلية .

.. ولا تقتصر المهرجانات على طوكيو .. وانما تمتد الى معظم البلاد .. وتعد أيضا معارض متنقلة .

وهذه المهرجانات بما تضمه هي صورة للفنون اليابانية في كافة ألوانها .

ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان أهم وأنجح ألوان الفنون في اليابان هي السينما .

ومستقبل السينما هناك مشرق لا يتأثر بانتشار التليفزيون كما يحدث في أمريكا ومعظم دول أوروبا ، ويساعد على ذلك قيام صناعة الفيلم الخام هناك .. ورخص الكاميرات الى درجة لاتصلها في أية دولة من دول العالم .

واليابان هي أول بلاد العالم من حيث عدد الأفلام التى تنتجها !

أنتجت عام ١٩٦٠ حوالى ٤٥٤ فيلما طويلا ، ٢٦٥ فيلما ثقافيا ، ٣٢٩ جريدة سينمائية .

وقد بدأ العالم يفتن الى مدى ما بلغته الأفلام اليابانية من تقدم منذ ظهر أحد أفلامها بالجائزة الأولى في مهرجان الأفلام الدولى بالبندقية عام ١٩٥١ .. وتوالى بعد ذلك الجوائز التى حصلت عليها الأفلام اليابانية في المهرجانات الدولية حتى بلغ مجموعها ٥٠ جائزة .

وقد فتحت اليابان لأفلامها أسواقا جديدة في ٢٦ دولة في آسيا وأوروبا وأمريكا الجنوبية وأدى هذا الى اغراء كثير من الدول على انتاج أفلام مشتركة .. مثل فيلم (مشرب الشاي فى ضوء القمر) مع أمريكا ، (عاصفة على نجاساكي) مع فرنسا ، و (مدام باترفلاي) مع ايطاليا .

والسينما اليابانية اليوم تسير مع تطور السينما العالمية .. شاهدت هناك أفلاما بالسينما سكوب .. بل انى سألت فعلمت أن نسبة أفلام السينما سكوب تبلغ ٧٥٪ من مجموع الانتاج ونسبة الأفلام الملونة ٣٠٪ .

والصفوف الطويلة تقف أمام دور السينما ، اذ يقبل عليها اليابانيون اقبالا شديدا .. وقد قدر عدد رواد السينما عام ١٩٦٠ بنحو ٧٥٠ مليون شخص .. يترددون على أكثر من ٧٠٠٠ دار للسينما !

وكل الأفلام التي تعرض في اليابان مدبلجة ، تنطق باليابانية .. هذا رغم وجود قوات الاحتلال الأمريكية هناك .. وعرض كثير من الأفلام الأمريكية .

وتوجد للسينما عدة جوائز لا تقدمها الدولة وانما تقدم جريدة (دايتشي) ثلاث جوائز سنوية لأحسن إنتاج سينمائي ، وجائزة اتحاد السينمائيين للسينما اليابانية ، وجائزة مجلة جامبو لأحسن قصة سينمائية .

ولكن قيمة هذه الجوائز لا ترتفع عندها الى خانة الألوف .. وانما تقدر بحوالي ٢٠٠ جنيه فقط للجائزة .. فهي تجمع بين تقدير مادي متواضع وتقدير أدبي محترم .

الرقص

واذا انتقلنا من السينما الى الرقص .. فائنا نجد أن الرقص مرتبط بالمرح والديانات القديمة .. ولا زال الرقص الكلاسيكي يزاول الى اليوم خلال المسرحيات القديمة .. وفي القصر الامبراطوري تقام حفلات الرقص الكلاسيكي بين حين وآخر ، كما تقام هذه الحفلات في المعابد في الاحتفالات الدينية .

وهناك لون آخر من الرقص الكلاسيكي تؤديه فتيات الجيشا .. ولا يزال يعرض في العاصمة القديمة « كيو تو » في الربيع من كل عام .

أما في طوكيو فان الاحتلال الأمريكي قد قضى تقريبا على نظام الجيشا ، ولم يعد لهن في المجتمع مكان .. بعد أن تحولن الى بائعات

للهموى يربحن من وراء ذلك مبالغ وافرة ، ويعشن حياة أكثر راحة
ودعة ..

وطوكيو مدينة تفقد الصلات التى تربطها بالفن الكلاسيكى ..
وتتحول الى مدينة يسودها الطابع الأمريكى .

دخلها الرقص الكلاسيكى .. ولكن جعل محصورا فى دائرة قصور
الأثرياء أو على خشبة المسارح التى تقدم انتاجا كلاسيكيا .

والرقص الحديث ينتشر فى أندية الليل انتشارا كبيرا .. ومع ذلك
فقد ولد فى اليابان بعد الحرب لون جديد من الرقص يرمى الى تطوير
الرقص اليابانى ، بحيث تصبح فيه لمسة من لمسات الغرب .

ومعروف طبعا ان الرقص يرتبط بالموسيقى .. وقد تأثر اليابانيون
بموسيقى الغرب تأثرا كبيرا .. وطوروا موسيقاهم الكلاسيكية لتقترب
من الموسيقى الغربية .. واستخدمت بعض آلات الموسيقى كالكممان
والبيانو والفلوت .

وقد لا يتسع المجال هنا للحديث عن بقية ألوان الفنون الأخرى
مثل المسرح بما فيه من مسرحيات درامية وغنائية واستعراضات راقصة
ومسارح للعرائس والأطفال .

ويكتفى منا بهذا القدر لنقوم معا فى وقت آخر بجولة فى مسارح
طوكيو التاريخية والمعاصرة .. وفى أنديةها الليلية التى تقدم مسرحيات
استعراضية تفوق ما تقدمه باريس .

والذين عرفوا طوكيو ، وباريس يستطيعون أن يحكموا فى سهولة
أن طوكيو قد تفوقت فى مسرحها الاستعراضى ، الى درجة تبعث على
الدهشة .

المسرح الاستعراضى يكتسح المسرح الجاد

التقدم الكبير الذى أحرزته السينما اليابانية .. يجعلها تقف فى طليعة الفنون . ويرجع ذلك - فى اعتقادى - الى أسباب تجارية .. فإن إنتاج الأفلام عمل مربح ، حيث يمكن توزيعها فى كل المدن ومعظم القرى .. وتبادلها أيضا مع مختلف الدول ، أما المسارح الجادة فى اليابان - وفى طوكيو بالذات - فإنها تعاني منافسة جادة قاسية من المسارح الاستعراضية ، والنوادر الليلية التى تنتشر فى طوكيو ، أكثر مما فى باريس .

واليابانيون بصفة عامة يتميزون بأنهم تجار .. يسعون دائما وراء الربح .. وليست هناك وزارة للثقافة ، والدولة لا ترعى الفنون الا فى حدود التشجيع العام فى عيد الثقافة والفنون الذى يعقد فى نوفمبر من كل عام .

والمسارح كما هو معروف تحتاج من أجل الاجادة الى مصاريف باهظة .

ويتميز الفن المسرحى فى اليابان بناحية مهمة ، هى انه يرتد فى أصوله الى التاريخ القديم ، أيام كانت تسيطر على حياتهم الخرافات والأساطير ، ويسجل تاريخ المسرح اليابانى أن أقدم المسرحيات كانت تسمى « كاجوارا » وهى رقصات دينية مصحوبة بالموسيقى القديمة ، ومنها تطورت المسرحية اليابانية الموسيقية التى تعرف باسم « نو » وما زالت تمثل حتى الآن ، والمسرحيات الهزلية « كيوجين » .

والمرح الذي تقدم عليه مسرحيات « النو » يقع في وسط المدينة ..
مبنى على طراز ياباني قديم ، وهي تقدم مرة كل شهر .. ويشرف على
تقديمها « جمعية مسرحيات النو » التي تألفت بعهد الحرب العالمية الثانية
للمحافظة على الطابع الكلاسيكي لها ...

شاهدت واحدة من هذه المسرحيات .. وكلمة « نو » تعنى التمثيل
أو الأداء .. وما زالت تعتمد على الرقص والموسيقى .. يتغنى فيها
الممثلون بالشعر القديم ، بينما يحكى الكورس قصة المسرحية ، ويلبس
الممثلون أقنعة على وجوههم ، ويصففون شعورهم على الطريقة
القديمة .

ويصحب مسرحيات « النو » مسرحيات « الكيوجين » وهم من
فصل واحد تقدم بين الفصول والغرض منها تخفيف التوتر الحاد الذي
يشعر به المتفرج من مشاهدة مسرحيات النو العنيفة .. وهي مسرحيات
تخلو من الموسيقى التي تصدع الآذان .

ولا أخفى سرا اذا قلت انى حضرت فصلا من « النو » وفصلا من
« الكيوجين » وخرجت الى الشارع هاربا ، وطرقات الموسيقى تدق في
أذنى ، وجهلى باللغة يشير أعصابى .. وما أظن أحدا لا يعرف اليابانية
يستطيع متابعة عرض كامل لهذا النوع من المسرحيات ، المهم انه ما زال
يوجد منها في اليابان كلها حوالى ٣٠ مسرحا ..

وليس هذا هو اللون الوحيد من مسرحيات اليابان الكلاسيكية التي
ترتد الى القرن الثانى عشر .. هناك نوع آخر حديث نوعا يرتد الى أواخر
القرن السادس عشر ، ويسمى « كابوكى » وترجمتها « ينسى نفسه » !!

ابتدعت هذا اللون راقصة ساحرة كانت تؤدي بعض الرقصات ،
وهي تلبس ملابس الكهان وتغنى أغنيات دينية بسيطة .. وانضم اليها
بعض الفتيات ..

ولكن لم تمض على ذلك أعوام ، حتى صدر قانون يمنع الفتيات من مزاوله الأعمال المسرحية ووثب الرجال الى مكاتهن .. وما زالت هذه المسرحيات تقدم حتى اليوم وكل أفرادها من الرجال، الذين يلبس بعضهم ملابس النساء اذا احتاج الدور الى ذلك .

والكابوكى تقدم مآسى من التاريخ وتعتمد على الحوار الشعرى ، الذى يلقي بطريقة المبالغة ، مصحوبا بالموسيقى، وحركات الممثلين متكلفة تكاد تقترب من الرقص .

المسرح الحديث

ولا يعنى هذا ان اليابان قد خلت من المسرح الحديث .. بعض الفرق تقدم مسرحيات غربية لتيسى و يليمز ويوجين اونيل وشكسبير.. وذلك بعد الحرب العالمية الثانية فقط .

وهناك أيضا اتجاه الى تقديم مسرحيات يابانية معاصرة .. ولكنها لم تصل بعد الى المستوى الذى يتيح القول أن هناك نهضة مسرحية معاصرة فى اليابان .

ولم تتح لى زيارتى القصيرة هناك فرصة دراسة هذا اللون من المسرحيات أو متابعة ما يقدم منه .. واللغة هى حجر عثرة التى تجعل المتابعة أمرا عسيرا .

والفرق المسرحية كلها أهلية تجارية ، تعمل طوال العام .. وليس هناك مسرح قومى ولا دار للأوبرا تتبع الدولة .

ومع هذا فانه تتاح لشعب اليابان فرصة مشاهدة الفرق الأجنبية التى تقيم مواسم كاملة هناك .

كانت هناك في العام الماضي فرقة بولشوى موسكو والكوميدي فرانسيز وباليه سان فرانسيسكو .

لمسات مسرحية

هذا النشاط الجديد في عالم المسرح كان مقصورا قبل الحرب العالمية الثانية على فئة المترفين والمثقفين .. أما في هذه الأيام ، فقد بدأت تدخله الطبقات الشعبية ..

هذا وقد هدمت الحرب العالمية الثانية هناك معظم المسارح ، وشجعت الحكومة اعادة بنائها كما عنيت الفرق المسرحية الكبرى بإنشاء مراكز خاصة بها لتدريب الممثلين الجدد .

وتكونت عام ١٩٥٧ لأول مرة في تاريخ اليابان « جمعية الممثلين اليابانيين » وذلك لرعاية الممثلين .

هذا وتلمع في هذه الأيام فكرة انشاء مسرح قومي ملحق به مركز للدراسة والتدريب على الفنون المسرحية الكلاسيكية .. وكذلك يتجه التفكير حاليا الى انشاء أوبرا كبيرة !..

ويوجد أربعة معاهد أهلية للفنون المسرحية تتبع الفرق الأهلية الكبيرة وكل منها يقبل حوالي ٥٠ طالبا كل عام للتدريب على التمثيل والافراج .

كما انه يوجد حوالي ٢٠ معهدا للتدريب على فنون الرقص والباليه .

المسارح الاستعراضية والنوادي الليلية

المسارح التي تقدمت في اليابان ووصلت الى مستوى عالمي .. هي المسارح الاستعراضية التي تجذب السياح ، ولا تقف اللغة اليابانية حائلا بينها وبين المشاهدين .

وانى أرجع السبب في تقديمها أيضا الى أسباب تجارية ، حيث أن مثل هذه المسارح تحقق أرباحا خيالية .

والفتنة اليابانية تطورت بعد الحرب العالمية الثانية .. أهملت التقاليد ، وخلعت الكيمونو ، ولم تصد تسجد على الأرض للرجل ... وبدأت تجهل رقصات بلادها وترقص الكاليسو والتش اتشا .

لا يكاد يمضى السائح في الشارع حتى يسمع عرضا من فتاة عابرة أو أخرى تقود عربتها أو ثالثة في تاكسي .. أو يقبل عليه شاب محترم ، يعرض عليه أن يذهب معه لمشاهدة عروض مخجلة مشينة .

وهذا الانحلال لا تقاومه الدولة ، ولا ترفع علم محاربته .. بل ان بعض الشركات الصناعية الكبرى تشجعه وتبناه .. وقد أفسدت هذه الموجة الطاغية من الانحلال فتيات الجيشا فهجرن مهنتهن الفاضلة الى بيع الجسد من أجل الدولارات .

وهذه الصورة التي رسمتها ليست كاملة ، لأن القلم يخجل من وضع الرتوش واللمسات النهائية لها .. ولكنى أقصد منها الى أن المسارح الاستعراضية ، ونوادي الليل تجد من الفتيات أعدادا لا نهاية لها .. يعملن بأرخص الأسعار ، ثم يمارسن بعد ذلك حياة الانحلال .

هذه المسارح تعلن أن فيها مئات الفتيات .. وهذا صحيح .

وأكبر رقم قرأته عن ذلك كان ١٢٠٠ فتاة في ناد ليلي واحد .

وفي مسرح آخر شاهدت أعمالاً فنية تقترب من الفولى برجير في باريس .. مسرح مستعد تماماً لتقديم مختلف الاستعراضات .. وكل المقاعد مليئة بالجمهور .. والذين تعذر عليهم الجلوس وقفوا في الممرات أما النوادي اليابانية فهي منتشرة غاية الانتشار .. وهي وما يسمى (Coffee shop) وهي مقاه صغيرة تبث فيها ألحان هادئة ، ويقوم بالخدمة فيها فتيات صغيرات .. ويبلغ عددها في طوكيو وحدها ٥٠٠٠ مقهى .

هذا الى جانب ما يغرى السائح من عمليات التدليك والاستحمام التي تجريها له الفتيات بعيداً عن الابتذال وبأسعار لا تتجاوز الجنيه .

كل هذا الجو يجعل من طوكيو مدينة الليل التي لا تنام .. وهي أيضاً ما يجعل المسارح الجادة تقع في أزمة قاسية عندما تحاول أن تقدم أفكاراً ومناقشات وفنوناً عميقة ، وسط هذا الجو من اللهو والرقص والموسيقى الصاخبة .

اولجا .. وناسى .. وكلارا

أولجا وناسى وكلارا أسماء يعرفها سكان الشرق البعيد .. ينتظرون قدومها كل عام .. ولكنها أبداً لا تكون موضع ترحيب ..

وهذه الأسماء ليست لنساء فائنات .. ولا قديسات راهبات .. انها أسماء لاعصارات مدمرة رهيبة . تهب من البحر في جنون ، تدمر القرى والمدن .

عندما وصلت طوكيو .. كان الجميع يتحدثون عن (ناسى) .. الصحافة والاذاعة والتلفزيون تتابع ألباء ناسى يوماً بعد يوم .. ثم ساعة بعد أخرى ..

ونانسي هو الاعصار رقم ١٨ الذى يجتاح اليابان مرة كل عام ..
ويعتبر أخطر اعصار تتعرض له بلاد الزلازل والبراكين .

ولا يكاد يمر يوم واحد فى اليابان ، دون أن تسجل المراصد زلزالا
أو أكثر . بعضها لا يشعر به الناس والبعض يشعرون به فى فزع .

وهذا هو السبب الذى جعل معظم المنازل فى اليابان تبنى من الخشب
.. أما العمارات الحديثة فتعد بطريقة تقاوم الزلازل ، وهى من أجل ذلك
تتكلف كثيرا ولا يقدر على بنائها الا الموسرون .

وهذا هو مايجعل طوكيو مدينة غريبة .. فيها عمارات حديثة
وبجانبها مبان خشبية حقيرة .. الأمر الذى لا يجعل لها طابعا خاصا
مثل لندن أو فينا أو باريس أو غير ذلك من عواصم أوروبا .

ونعود الى نانسي .. حددت المراصد موعد وصوله الى طوكيو فى
مساء اليوم التالى لوصولنا اليها .. والجو مع ذلك لم يكن طيبعا ..
الرياح سريعة والأشجار تهتز فى شدة والهواء يدفع الناس فى الشوارع
والاذاعة تذيع نشرة عن خط سير الاعصار مرة كل ساعة .. انه يقترب
من طوكيو عن طريق المحيط . والأخبار ترد عن مراكب ابتلعها البحر ..
وعن قرى على الشاطئ تحولت الى أنقاض ..

وفى صباح اليوم التالى بدأت تحذيرات قاسية .. على الجميع ألا
ينادروا منازلهم .. كل الأشياء المتحركة يجب أن تثبت .. العربات يجب
أن تزود بالأثقال .. المحلات يجب أن تقطع تيار الكهرباء .. توقف
الطيران ، واحتمت البواخر بالميناء واحتل الاعصار مانشيتات الصحف
الرئيسية (نانسي على الأبواب) .. (احذروا نانسي) .. والاذاعة تذيع
فى فترات متقاربة وصلت الى مرة كل ربع ساعة .. تتوقف السيمفونية
وتذاع أخبار الاعصار ..

ولكن (نانسى) لا يحدد طريقه .. انه يحاور مصلحة الأرصاد ..
لا يعرف أحد له اتجاهها .. وبدأت بوادره تصل الى طوكيو .. جميع
المحلات أغلقت أبوابها .. وتوقفت المواصلات .. وأسرع الناس الى
دورهم ينتظرون فى قلق وفزع .. الهيئات الوحيدة المتبقية المتبقية هي
المطافى والبوليس .

الاعصار لم يصل بعد .. ما زال على مسافة ساعتين من طوكيو ..
ومع ذلك فالمدينة غارقة فى دوامات رهبة .. ولم يعد أحد قادرا على
السير فى الشوارع .

وفجأة أعلنت الاذاعة أن (نانسى) قد غير اتجاهه .. وانه لن يقبل
على طوكيو .. وبدأت الرياح تضعف ، وعويلها يخفت .. وضاعت فرصة
رؤية أعظم اعصار فى العالم .. فى أكبر عاصمة تتعرض للزلازل والبراكين
والاعصارات .

ومع هذا ورغم عدم وصول الاعصار كانت الخسائر ٩٢ شخصا
قتلى و ١٨ حريقا ، ٢٤٠ جرحى وتعطلا كاملا لحركة السفر لمدة يومين
كاملين .

وحمدت الله أن بلدنا لا يعرف الاعصارات المدمرة ..



الدار القومية للطباعة والنشر
« فرع الساحل »



المؤلف

بدأ المؤلف حياته ضابطاً في الجيش ، وكان يكتب المقالات في الصحف والمجلات ، وقد عهد إليه بإصدار ورئاسة تحرير مجلة (التحرير) أولى مجلات الثورة وعندما تركها إلى كلية أركان الحرب التي تخرج منها عام ١٩٥٢ أصدر عن إدارة المبنية مجلة (الهدف) الثقافية الشهرية . . وفي عام ١٩٥٦ بدأ العمل مديراً لتحرير مجلة (الرسالة الجديدة) ومحرراً بجريدة الجمهورية ورئيساً لتحرير مجلة الكاتب الشهرية . ثم عهد إليه بإدارة المسرح القومي فنهض به نهضة معروفة . وللمؤلف عدة كتب منها : حرب العصابات - أسرار معركة بورسعيد - خواطر عن الحرب - الدانوب الجديد - كومبارس - خمس سنوات في المسرح - مسرحية الأزمه .

هذا الكتاب

أتيح للمؤلف في حياته الصحفية فرصة القيام برحلات عديدة إلى معظم بلاد العالم ، وفي هذا الكتاب تسجيل شائق لذكريات الكاتب عن أسفاره في بلدان أفريقيا وآسيا وأوروبا .

العدد ٨٨
التمن ٢٠ قرشا

Bibliotheca Alexandrina



0226160

الدار القومية للطباعة والنشر